البيت السفياني

معاوية بن أبي سفيان

٤١ـ ٦٠هـ / ٦٦١ـ ٦٨٠م

obeikan.com

obeikandl.com

هـو: **معاوية بن أبي سفيان** صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الرحمن القرشي الأموي، أمير المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح.

وقد رُوي عن معاوية أنه قال: أسلمت يوم عمرة القضاء ولكني كتمت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح، وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية، وآلت إليه رياسة قريش بعد يوم بدر، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب، وكان رئيساً مطاعاً ذا مالٍ جزيل، ولما أسلم قال: يا رسول الله مرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: «نعم»، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: «نعم». ثم سأل أن يزوج رسول الله بابنته، وهي عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، فلم يقع ذلك، وبيّن رسول الله أن ذلك لا يحل له. والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله مع غيره من كتّاب الوحي رضي الله عنهم.

ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان، وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلاداً أخرى، وهو الذي بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة، قاله الحافظ ابن عساكر.

ولما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهل بن حُنيف فعزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة من أهل الشام ومانع علياً عنها وقد قال: لا أبايعه حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قتل مظلوماً، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾ [الإسراء: ٣٣] . وروى الطبراني عن ابن عباس أنه قال: ما زلت موقناً أن معاوية يلي الملك من هذه الآية.

فلما امتنع معاوية من البيعة لعلي حتى يسلمه القتلة، كان من صفين ما قدمنا ذكره (في كتاب البداية والنهاية)، ثم آل الأمر إلى التحكيم، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام في الصعدة الظاهرة. واستفحل أمر معاوية، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم كما تقدم، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان. ثم ركب الحسن في جنود العراق عن غير إرادة منه، وركب معاوية في أهل الشام. **فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح فانتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان.** وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة إحدى وأربعين - ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما بايعه الناس - واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وسُمي هذا العام: عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة.

ابن كثير، البداية والنهاية/الجزء الثامن/فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

الدولة الأموية

ينتسب **الأمويون** إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد مناف يلتقي بنو أمية مع بني هاشم، (انظر المشجرات في الصفحات القادمة من هذا الأطلس إن شاء الله)، وكان بنو عبد مناف أصحاب مكانة عظيمة، ومنزلة مرموقة في مكة المكرمة شرفها الله تعالى.

وقد قامت **الدولة الأموية** بعد انتهاء الخلافة الراشدة باستشهاد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ ، " ويُعد بدء الدولة الأموية حين تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في ٢٥ ربيع الأول سنة ٤١ هـ، واستمرت الدولة الأموية حتى معركة الزاب التي جرت بين جيوش العباسيين وبني أمية حيث هُزم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وذلك في ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٢ هـ . وبذا دامت هذه الدولة ما ينيِّف على إحدى و تسعين عاماً "[١] .

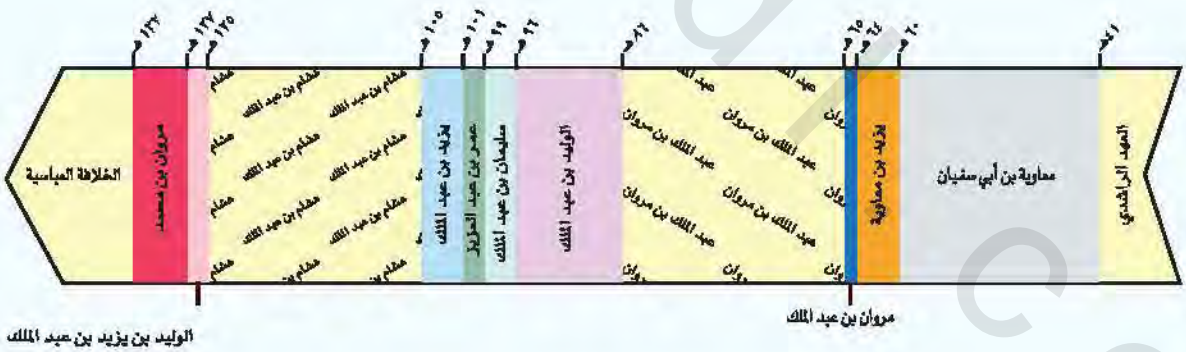

خط زمني للدولة الأموية

للأهمية: تم ذكر خلافة عبد الله بن الزبير في فصل مستقل من فصول الكتاب

١ – محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م، ج ٤، ص ٦١ .

شجرة نسب الخلفاء الأمويين

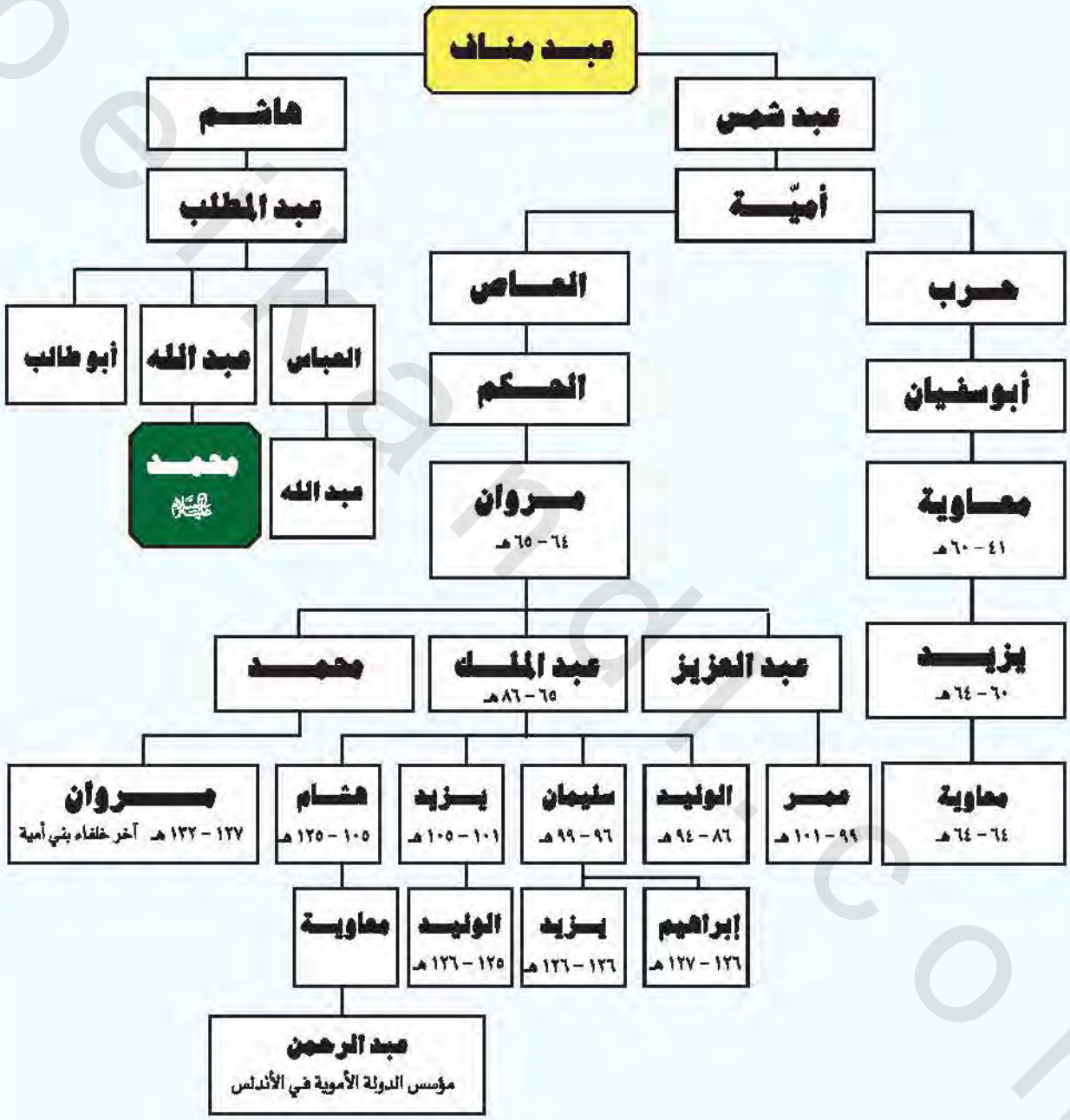

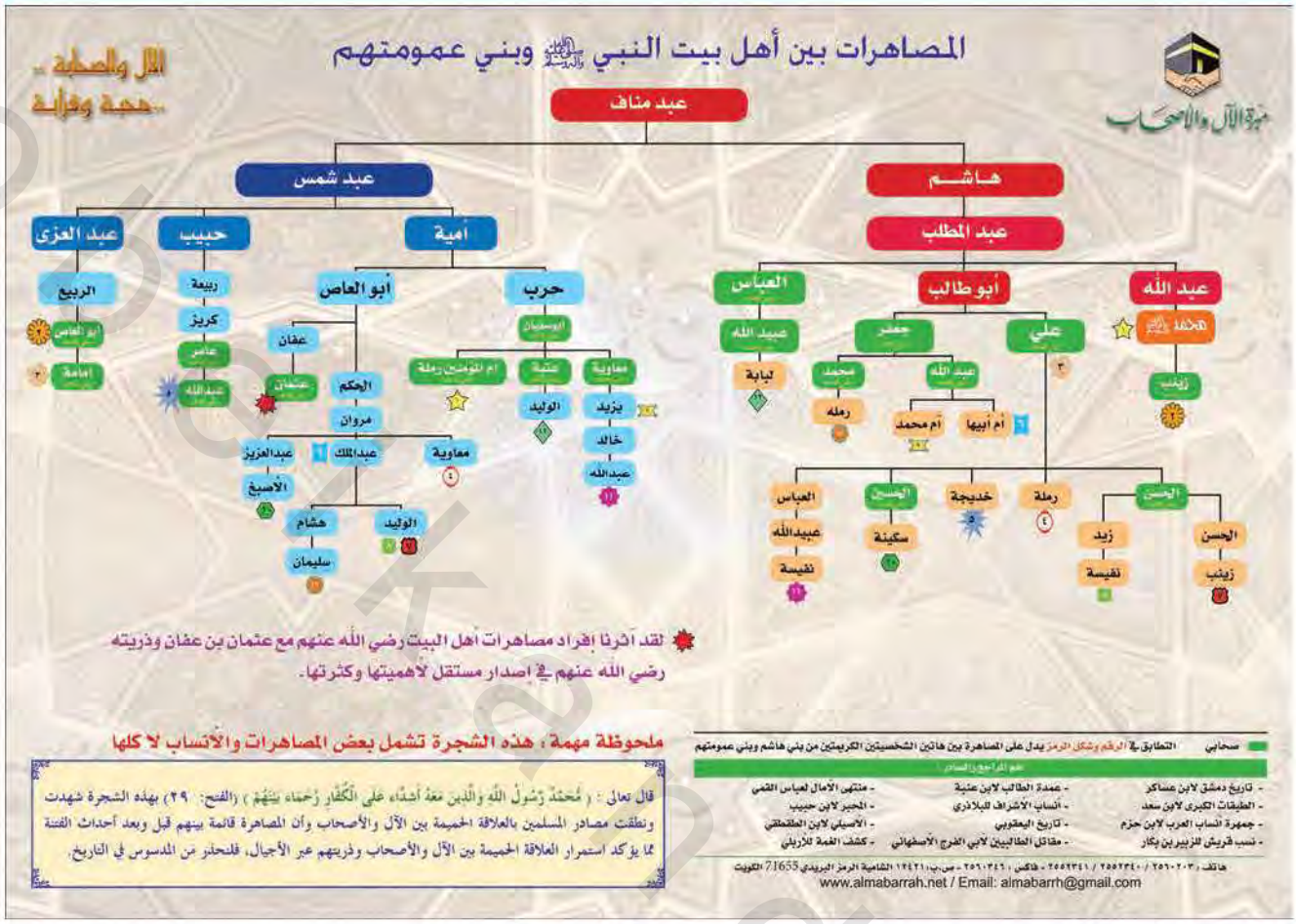

عام الجماعة: بايع أهل العراق الحسن بن علي - رضي الله عنهما - بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة (٤٠هـ)، وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فزحف بمن معه، وتقارب الجيشان في موضع يقال له (مسكن) بناحية الأنبار، ولم يستشعر الحسن الثقة بمن معه، وهاله أن يقْتتل المسلمون وتسيل دماؤهم، فكتب إلى معاوية يشترط شروطاً للصلح، ورضي معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة (٤١هـ)، وسُمي هذا العام (عام الجماعة) لاجتماع كلمة المسلمين فيه، وانصرف الحسن - رضي الله عنهما - إلى المدينة النبوية حيث أقام، وهذا الفعل الذي قام به الحسن هو تأكيد على قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" وقد وقع ما أخبر به بتنازل الحسن عن المطالبة بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان فاطفأ الله به نار الحرب بين الصحابة وسموا ذلك العام بعام الجماعة" فقامت الدولة الإسلامية الأموية على يد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- في وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون فيه إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، فجمعهم الله على معاوية بعد تنازل الحسن - كما أسلفنا - في "عام الجماعة" عام ٤١ هـ/ ٦٦١ م.

بعض النسب والمصاهرة بين آل النبي صلى الله عليه وسلم وآل عثمان بن عفان رضي الله عنه

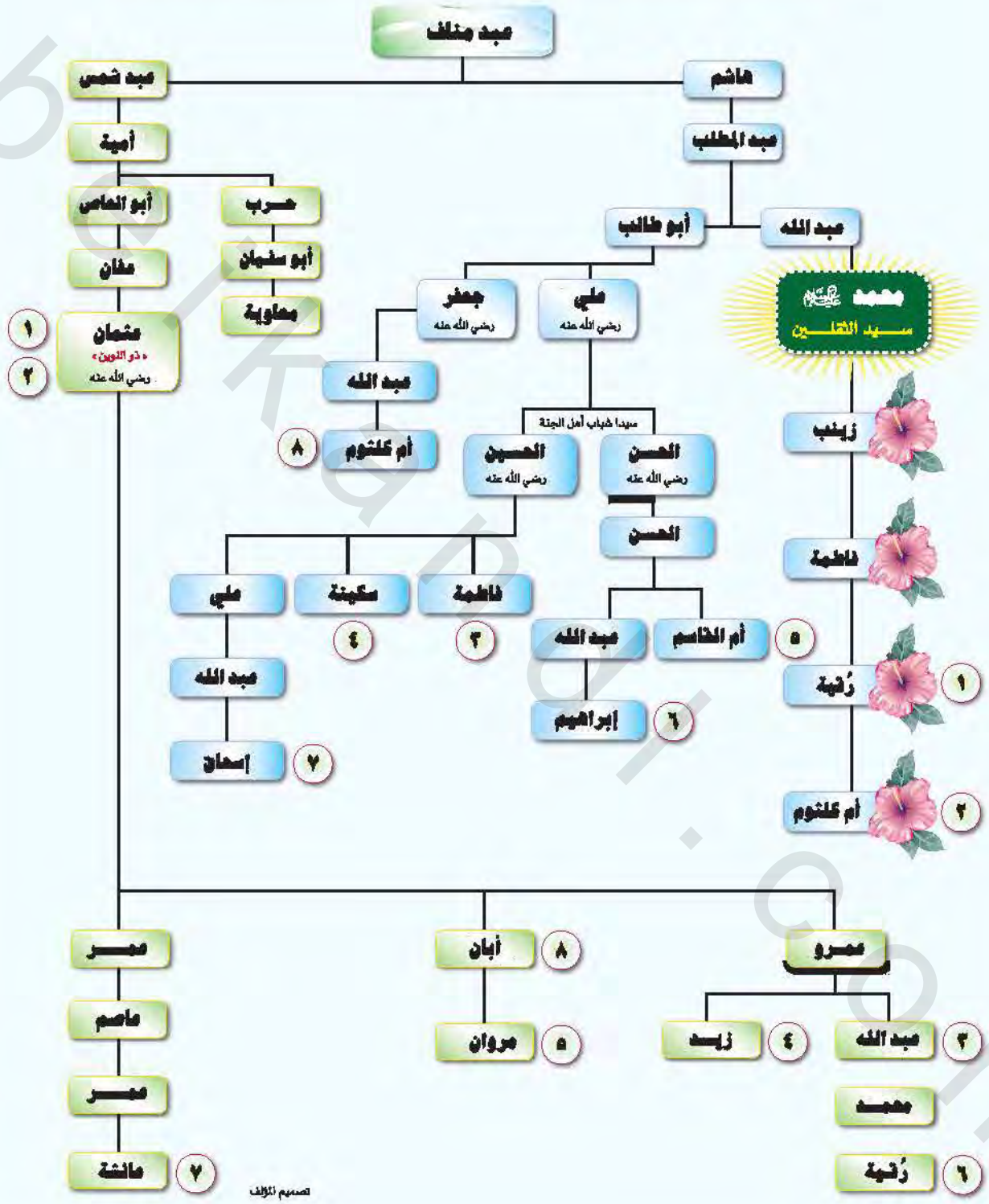

الخوارج في عهد معاوية

من هم الخوارج؟

هم الطائفة الخارجة على سلطة الدولة الإسلامية، وسموا بذلك لخروجهم على علي رضي الله عنه ثم خروجهم على كل من لم يوافقهم من الأئمة، عدولاً كانوا أم جائرين، وصفة الخروج على الأئمة من غير موافقيهم هي أخص أوصافهم، حتى نص بعض العلماء على أنه لا يصح إطلاق وصف الخوارج إلا على من كفّر المسلمين، وسلّ سيفه عليهم، وأراد تغيير السلطة الحاكمة من غير وجه شرعي.

لجأ الخوارج في مستهل معارضتهم إلى القوة واستخدام السيف في فرض أفكارهم، وآرائهم على الناس، وأبدوا في صراعهم الدموي مع الدولة الأموية كثيراً من ضروب الشجاعة، والتضحية، والإقدام، ولو أن شجاعتهم وبطولاتهم اتجهت اتجاهاً صحيحاً، ووحدوا جهودهم مع الدولة الأموية في مجال الفتوحات الإسلامية ومحاربة أعداء الإسلام، لكان ذلك أجدى وأنفع، و العجيب أن أغلبهم لم يكونوا من طلاب الدنيا، والتطلع إلى المال، والمناصب، و إنما كانوا طلاب آخرة، ولكنهم أخطئوا الطريق إليها.

ثورات الخوارج في عهد معاوية

ثورة الخوارج في الكوفة

١ ـ حركة فروة بن نوفل الأشجعي.
٢ ـ حركة المستورد بن عُلّفة التيمي « تيم الرباب ».
٣ ـ حركة حيان بن ظبيان السلمي.

ثورة الخوارج في البصرة

١ ـ حركة يزيد الباهلي وسهم الهجيمي .
٢ ـ حركة قريب الأزدي، وزحاف الطائي.
٣ ـ خبر عروة بن أُدية الخارجي.
٤ ـ حركة مرداس بن أُدية .

قال الطبري في أحداث عام ٤١هـ: وفيها خرجت **الخوارج** التي اعتزلت أيام علي عليه السلام بشهرزور على معاوية، وقال: حدثت عن زياد، عن عوانه، قال: قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة، فقالت الحرورية، الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون منا، أليس معاوية عدونا وعدوكم، دعونا حتى نقاتله، وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم كفيتمونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، وأخذت أشجع صاحبهم فروة بن نوفل - وكان سيد القوم - واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحر - رجلاً من طيء - فقاتلوهم فقتلوا. تاريخ الطبري: (٦/٨١) .

٠ ٢٥ ٥٠ كم

حركة المستورد بن عُلّفة التيمي من تيم الرباب سنة ٤١ هـ

هـذه الحركـة تمثـل الامتداد الطبيعي لفكر خوارج النهروان الذين قاتلهم علي – رضي الله عنه –، إذ إن معظم المنتسبين إلى هذه الحركة كانوا في خندق واحـد فـي معركة النهـروان، وهذا الأمر هو الذي دفع المغيرة بن شعبـة والي الكوفة إلى اللجوء إلى أنصار علي رضي الله عنـه، وخاصة الذين شاركوا في معركـة النهـروان من أمثال معقل بن قيس الرياحي الذي كان أحد قادة علي يوم النهـروان ، وتكليفه قيادة الحملة المتوجهة لقتال الخوارج، لأن أنصار علي رضي الله عنه هم أخبر الناس بالخوارج وأشدهم عليهم.

٠ ٢٥ ٥٠ كم

روى الإمـام **البخـاري** فـي صحيحـه عن أمير المؤمنين **علي بـن أبي طالب** رضي الله عنـه أنه قال: إذا حدثتكـم عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً، فوالله لأن أَخِرّ من السماء أحبّ إليّ من أنّ أكذب عليه، وإذا حدثتكـم فيمـا بينـي وبينكم فإن الحـرب خدعة، وإني سمعـت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول: سيخـرج قـومٌ فـي آخر الزمان، أحـداث الأسنـان، سفهاء الأحلام، يقولـون من خير قول البريـة، لا يجاوز إيمانهـم حناجرهـم، يمرقون من الدين كما يمـرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهـم فاقتلوهم، فإن في قَتْلِهم أجراً لِمَنْ قَتَلَهم يوم القيامة.

كانت هذه الحركة عام ٥٨هـ وكانت في ولاية عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، ففي أثناء ولايته خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن علفة، فظفر بهم فاستودعهم السجن، فلما مات خرجوا من السجن ، وقام بحركة مضادة للخلافة وكان رئيسهم حيان بن ظبيان السُّلَمِي، فبعث إليهم والي الكوفة (المغيرة بن شعبة) جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً .

في عام ٤١هـ خرج في ولاية عبد الله بن عامر لمعاوية، يزيد بن مالك الباهلي، وخرج معه سهم بن غالب الهجيمي، فأصبحوا عند الجسر، فوجدوا عبادة بن قرص الليثي أحد بني بجر. وكانت له صحبة. يصلي عند الجسر، فأنكروه فقتلوه ثم سألوا ابن عامر الأمان فآمنهم وكتب إلى معاوية قد جعلت لهم ذمتك، فكتب إليه معاوية: تلك ذمة لو أخفرتها لا سُئلت عنها، فلم يزالوا آمنين حتى عزل ابن عامر. وفي عام ٤٦هـ خرج سهم الهجيمي والخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلي لما تولى زياد، فأما سهم فخرج إلى **الأهواز** فأحدث وحكّم ثم رجع فاختفى وطلب الأمان، فلم يؤمنه زياد حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه، وأما الخطيم فإن زياداً سيره إلى **البحرين**، ثم أذن له فتقدم، فقال له: الزم مصرك، وقال لمسلم بن عمرو الباهلي: أضمنه، فأبى وقال: إن بات عن بيته أعلمتك، ثم أتاه مسلم، فقال: لم يبت الخطيم الليلة في بيته فأمر به فقتل، وألقي في باهلة. ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٤٧٧/٢).

في عام ٥٠هـ خرج قريب الأزدي وزحّاف الطائي **بالبصرة** وهما ابنا خالة، وزياد بالكوفة وسمرة على البصرة، فأتيا بني ضُبيعة، وهم سبعون رجلاً، وقتلوا منهم شيخاً، وخرج على قريب وزحّاف شباب من بني علي وبني راسب فرموهم بالنّبل، وقتل عبد الله بن أوس الطاحيّ قريباً وجاء برأسه واشتد زياد على المنبر فقال: يا أهل البصرة والله لتكفُنّني هؤلاء أو لأبدأنّ بكم، والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهماً، فثار الناس بهم فقتلوهم . ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٤٨٢/٢) .

فـي سنـة ٥٨هـ اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم صبراً جماعة كثيرة، وفي الحرب جماعة أخرى، وممن قتـل منهـم صـبراً عروة بن أديَّة وأبو بـلال مرداس بن أدية ، وكان سبب قتله أن ابن زياد قد خـرج في رهان له، فلما جلس ينتظـر الخيـل اجتمـع إليه الناس وفيهم عروة، فأقبل على ابـن زياد يعظه، وكان مما قال له: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ (الشعراء ، الآيات : ١٢٨ ـ ١٣٠) . فلمّا قال ذلك ظن ابن زياد أنه لم يقـل ذلك إلا ومعه جماعة، فقام وركب وتـرك رهانه. فقيل لعروة: ليقتلنّك، فاختفى، فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة فأخذ وقدم به على ابن زياد فقطع يديه ورجليه .. ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال أرى أنك أفسدتَ دنياي وأفسدتُ آخرتك، فقتله وأرسل إلى ابنته فقتلها ، بسبب اعتناقها مذهب والدها . **وذكر المبرد في كتابه الكامل في اللغة سببين هامين كان لهما أثـر كبـير في مقتل عروة بن أديـة، الأول: تكفير هذا الخارجي لعثمـان وعلي رضي الله عنهما، والثاني: إقدامه على مساعدة أخيه مرداس بن أدية على الخروج** . الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٤٣ .

obeikandl.com

خـرج مرداس بـن أُديَّة، **بالأهواز** وكان ابن زياد قبل ذلك حبسه فيمن حبس من الخوارج، فكان السجان يرى عبادته، واجتهاده، وكان يأذن لـه فـي الليل، فينصرف، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد، فذكر ابن زياد **الخوارج** فعزم على قتلهم، إذا أصبح، فانطلق صديق مرداس إلى منزل مرداس فأخبرهم، وقال: أرسلوا إلى أبي بلال في السجن فليعهد فإنه مقتول، فسمع ذلك مرداس، وبلغ الخبر صاحب السجن، فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه إذا بـه قـد طلـع، فقال له السجان: هل بلغك ما عزم عليـه الأمير؟ قال: نعم، قال: ثم غدوت؟ قال: نعم، ولم يكن جـزاؤك مع إحسانك أن تعاقب بسببـي، وأصبـح عبيد الله فجعل يقتل الخوارج، ثم دعا مرداس، فلما حضر وثب السجان. وكان فظّاً لعبيد الله، فأخذ بقدمه، ثم قال: هب هذا، وقص عليه قصته، فوهبه له وأطلقه. وقد أشار البلاذري إلى أن عزم عبيد الله بن زياد على قتل من في السجن من الخوارج كان بسبب إقـدام بعضهـم على قتل أحد الحرّاس. ثم إن مرداس خاف ابن زيـاد **فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز**، فكان إذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشاً عليهم أسلم بن زرعة الكلابي سنة ستين، وقيل أبـو حصـين التميمـي، وكان الجيـش ألفيّ رجل، فلمّا وصلـوا إلى أبي بلال ناشدهـم الله أن يقاتلوه فلـم يفعلوا، ودعاهم أسلـم إلى معاودة الجماعة، فقالوا: أتردّوننا إلى ابن زياد الفاسق؟ فرمى أصحاب أسلم رجلاًمن أصحاب أبي بلال فقتلوه، فقال أبو بلال: قد بدؤوكم بالقتال. فشـدّ الخـوارج على أسلم وأصحابه شدّة رجل واحـد فهزموهم فقدموا البصرة، فلام ابن زياد أسلم وقال: هزمك أربعون وأنت في ألفين، لا خـيرَ فيـك. فقال: لأن تلومني وأنا حي خير من تثني عليّ وأنا ميـت، فكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به: أما أبو بلال وراءك! فشكا ذلك إلى ابن زياد، فتهاهم فانتهوا . الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٤٣ .

سياسة معاوية بن أبي سفيان الخارجية

وضع معاوية أسساً مدروسة، وقواعد ثابتة في سياسته الخارجية، ولكن عهده لم يشهد فتوحات على نطاق واسع، كما كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إنما هذا لم يكن تقصيراً منه بل حسن تقدير للأمور، وإذ أدرك جسامة المهمة الملقاة على عاتقه في حقل السياسة الخارجية التي تتمثل في تثبيت الفتوحات الإسلامية في المشرق، والقضاء على الحركات التمردية، التي كانت تقوم بين الحين والآخر في أنحاء متفرقة من البلاد، نتيجة الشعور القومي لدى الفرس. ومن ناحية ثانية كان معاوية يعمل جاهداً على نشر الدين الإسلامي بين الشعب الفارسي. ومن أجل ذلك أسكن عشرات الآلاف من الأسر العربية في المناطق الفارسية، وبصفة خاصة في خراسان، حتى يكون اختلاط العرب بالفرس سبيلاً إلى نشر التعاليم الإسلامية، واللغة، والثقافة العربية. ومع هذا لم يغفل حراسة الحدود، فكانت الغزوات تنطلق من ثغر السند، إلى حدود بلاد ما وراء النهر .

وهكذا قدَّر معاوية أن تثبيت الفتوحات ونشر الإسلام في البلاد الشرقية أجدى من الفتح والتوسع. وقد نجحت هذه السياسة في هذا الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية.

أما الجناح الغربي ، وأعني بلاد الشام ومصر، فكانت المواجهة مع الدولة البيزنطية لا بدّ لها من سببين: الأول قرب الدولة البيزنطية من مركز القيادة في دمشق . الثاني أن خطر الدولة البيزنطية ظل قائماً، وتهديدها للدولة الإسلامية كان ولا يزال مستمراً. وقد وقف معاوية من خلال خبرته السياسية، أثناء توليه بلاد الشام، على أهداف البيزنطيين القاضية بطرد المسلمين من هذا البلد. فركّز معظم جهوده للتصدي لهم ، وإيقافهم عند حدهم ، خاصة في ميدان البحر، واتّبع في سبيل ذلك استراتيجية عسكرية خاصة [1] .

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٨ .

أقصى حدود دولة الخلافة الراشدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد سلك المسلمون المنهج الإيماني في فتوحاتهم ، وقد شهد لهم به المؤرخ الغربي ، والاجتماعي المنصف (غوستاف لوبون) بكلمة تشبه كلمات بلغائهم في إيجازها، وسعة معانيها وهي قوله: (ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب) ويؤيد هذه الشهادة العقل كالنقل، فإنه لولا فضائلهم – ورأسها العدل والرحمة – لما أمكنهم أن يثلوا عرش كسرى وقيصر في الشرق في أقصر مدة، حيث كانت حكوماتهما أرقى حكومات الأرض قوة وحضارة، وثروة ونظاماً؛ وإنما ثل العرشين التليدين الراسخين أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه بحكمته القيادية، وسياسته المنهجية في الربع الأول من القرن الأول الهجري، وفي عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه توقفت الفتوحات الإسلامية، ما خلا توغل جرى في جبهة السند (انظر كتابنا أطلس الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، وذلك بسبب الفتن التي ثارت في عهده وانتهت باستشهاده رضي الله عنه. ثم عاودت الفتوحات الإسلامية من جديد في مستهل العهد الأموي في الشرق والغرب، وهذا ما سوف نتعرف عليه من خلال هذا الأطلس إن شاء الله تعالى .

أولاً : الجبهة البيزنطية [١]

شهدت العلاقات الإسلامية البيزنطية، ابتداء من منتصف القرن الأول الهجري سلسلة من الأحداث الهامة أثرت في العالمين الإسلامي والبيزنطي وجعلت الصراع العسكري بينهما سجلاً متأرجحاً بين النصر والهزيمة، والسلم والحرب وفقاً لمقتضيات الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل منهما.

ويرجع الفضل للخلافة الأموية عامة، ولمعاوية خاصة، في وضع سياسة عسكرية واضحة الأهداف والمعالم ضد الدولة البيزنطية، وتنظيم الحملات **لمهاجمة القسطنطينية**. والحقيقة أن معركة ذات الصواري - حدثت في العهد الراشدي، انظر كتابنا أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه - حولت العلاقات العسكرية بين المسلمين والبيزنطيين نحو اتجاه جديد في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، إذ إنها اعتبرت المدخل الذي أطل منه الأمويون على العالم الوسيط كقوة بحرية منافسة في المنطقة. كما أنها أضاعت آخر الفرص من البيزنطيين؛ لاستعادة مواقعهم في الشام ومصر، حيث كان اعتمادهم على التفوق البحري. لكن انحسار الدولة البيزنطية وانكفاءها إلى ماوراء حدودها في آسيا الصغرى، لم يدفعها إلى التخلي نهائياً عن هذه المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية، لوجودها واستمرارها كدولة كبرى.

لذلك لم يفت على معاوية هدف البيزنطيين، كما لم يتجاهل الفراغ العسكري الذي أحدثوه في المنطقة. فوضع نصب عينيه هدفين :

أولهما : إقامة نظام ثابت لحماية المناطق الحدودية والشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين وحلفائهم **المردة**.

ثانيهما : الاستيلاء على **القسطنطينية** عاصمة الإمبراطورية البيزنطية.

تمثلت أبرز خطوط هذا النظام الحربي في إقامة مراكز دفاعية في مناطق الحدود، وحاميات عسكرية دائمة في المعاقل الأمامية، والممرات الجبلية على تخوم الدولة البيزنطية، وهي التي تعرف باسم "**الثغور**". إنها مواقع عسكرية متقدمة ملاصقة لحدود العدو.

ورأى معاوية ضرورة الاهتمام بهذه المناطق الحدودية وتعميرها وتحصينها، فاهتم بمدينة **أنطاكية** التي كانت معرضة باستمرار للغارات البيزنطية المفاجئة، فأغرى الناس على الإقامة فيها بأن منحهم إقطاعات من الأرض كما نقل إليها في عام "٤٢هـ - ٦٦٢م" **جماعة من الفرس** وجماعات من أهل بعلبك وحمص والبصرة والكوفة،

---

١ - د. محمد مختوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٨ .

الثغور الإسلامية بين المسلمين والبيزنطيين في العصر الأموي

ثـم أخـذ يوالي تدريجياً تعمـير المدن التي خرج منهـا البيزنطيون بعد الفتوحات الإسلاميـة كما نفذ إعادة استيطـان المدن التي خرج منهـا البيزنطيون بعد الفتوحات الإسلامية. فبالإضافـة إلى أنطاكية وحمص، نقل قومـاً مـن فرس بعلبـك، وحمص إلى صور، كما نقـل قوماً من زط البصـرة، والسيابجـة إلى السواحل وأنزل بعضهم أنطاكية.

وحتى يقوي معاقل الحدود فتح سميساط، وملطية، وجدد حصوناً أخرى مثل: مرعش، والحدث، وفتح حصن زبطـرة الاستراتيجي وأعاد تحصينه. وأبدى نشاطاً ملحوظاً في ترميم المدن الساحلية وتحصينها لتقوى على صـد غارات البيزنطيـين من البحر. فرمم عكًّا، وصور، وحصن جبلة، وشحنهـا بالمرابطة، ومصَّر نطرطوس فبناها وأقطع بها القطائع.

وارتبـط بهـذا النظـام الدفاعـي نظام آخـر ذو خصائـص هجوميـة دفاعية مشتركـة وهو ما عـرف **بالشواتي والصوائف**. إنها حملات دورية منتظمة كانت تتوجه إلى الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى ويشرف عليها قادة اختصاصيون هدفها السيطرة على الحصون، والمعاقل الجبلية المهمة والقيام بغارات داخل الأراضي البيزنطية والتصدي

للبيزنطيين إذا ما حاولوا التقدم داخل الأراضي الإسلامية.

ونظـراً لأن المعـارك والصراعـات العسكرية التي كانت تحـدث بينه وبين البيزنطيـين بمجملها بحرية أدرك معاوية أهمية تعزيز الأسطول البحري في :

١. الدفاع عن السواحل.

٢. غـزو الجزر البحرية المواجهـة لساحل الشام مثـل: أرواد وقبرص ورودس، ليتخذها مراكـز أمامية لتوجيه الغزوات البحرية منها إلى بلاد البيزنطيين.

٣. الدفاع عن البلاد المفتوحة والأملاك المكتسبة .

٤. استمـرار العلاقات التجارية الخارجية مع بلاد البحر الأبيض المتوسط؛ خاصة وأن هذا البحر كان ولا يزال في قبضة البيزنطيين. لذلك وضع مخططاً للتفوق على هؤلاء في البحر وإبعادهم عن السواحل.

وتنفيـذاً لهـذا المخطـط بنى معاويـة البحرية الإسلامية، وأنشـأ أسطولاً بحرياً، عهـد بإدارته إلى عدد من الملاحـين العرب مـن بني الأزد الغساسنة. وبفضل هـذا الأسطول، تمكن المسلمون مـن إحكام سيطرتهم على سواحل بلاد الشام، وتنفيذ خطة السيطرة على الجزر . وبذلك يكون معاوية أول من نظم أسطولاً بحرياً، وأول من أرسل حملة إسلامية للغزو في البحر المتوسط .

وغـزا المسلمـون بقيـادة معاوية جزيرة قبرص في عام "٢٨هـ - ٦٤٩م" واستولـوا عليها. وكان النصر الذي لازم هذه الحملة بداية مرحلة من النشاط البحري للمسلمين الذين قاموا، خلال السنوات التالية، بسلسلة من الغـارات البحريـة مـن قواعدهم في بـلاد الشام ومصـر وتمهيداً لحصـار القسطنطينية، وقـد رافقت هذه الحملات البحرية، حملات أخرى برية بهدف دراسة الطرق المؤدية إليها [١].

الطريق إلى القسطنطينية

بعـد أن استقـر الأمر لمعاوية بن أبـي سفيان سنة ٤١هـ خليفة للمسلمين باشر فـي تطوير الأسطول البحري ليكـون قـادراً على دك معاقل القسطنطينية عاصمة الروم ومبعث العدوان والخطر الدائم ضد المسلمين، فبعد أن قضـى معاويـة على حـركات المـردة أو الجراجمة الذيـن استخدمهم الـروم وسيلة لرصد حـركات الدولة الإسلامية ونقاط ضعفها وإبلاغ الروم عنها متخذين من مرتفعات طوروس وجبل اللكام مقراً لهم [٢].

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٢ .

٢ - العلاقات العربية البيزنطية في العصر الأموي ، ص ٥١ .

جزء من خارطة تاريخية عثمانية تشتمل على حوض البحر المتوسط والبحر الأسود تعود إلى بدايات مطلع العصر الحديث

بداية النشاط البحري في عهد معاوية لجلب المعلومات الاستخباراتية

بدأ الخليفة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - نشاطه البحري بإرسال حملات بحرية استطلاعية منها حملة **فضالة بن عبيد الأنصاري** ، للوقوف على تحركات الروم وجلب المعلومات الدقيقة عنهم لمنعهم من استخدام جزر **قبرص، وأرواد ، ورودس** ذوات الخدمة التعبوية والعسكرية في عملياتهم ضد الأسطول البحري الإسلامي وقد باشر أعماله الاستطلاعية بإحدى الشواتي وهي شاتية **بسر بن أبي أرطأة** في البحر عام ٤٣هـ، وأعقبها بشاتية **مالك بن عبد الله** بأرض الروم سنة ٤٦هـ، وصائفة **عبد الله بن قيس الفزاري** بحراً وحملة **عقبة بن عامر الجهني** بأهل مصر في البحر سنة ٤٨هـ، وصائفة **عبد الله بن كرز البجلي**، وحملة **عبد الله بن يزيد بن شجر الرهاوي**، و**شاتيته بأهل الشام** في سنة ٤٩هـ .

بقيت طرسوس قاعدة لانطلاق القوات الإسلامية إلى بلاد الروم، وقاعدة لانطلاق القوات البيزنطية إلى بلاد الإسلام، طيلة عهد بني أمية، فكانت تنطلق منها قوات الجهاد الإسلامي إلى **القسطنطينية**، وإلى بلاد الروم سنوياً على نظام الصوائف والشواتي التي استنها معاوية في حرب الروم. وعندما كان الروم يغتنمون غرّة من المسلمين أو ضعفاً كانوا ينطلقون من طرسوس كما فعلوا عندما هاجموا أنطاكيا عام ٧٩ هـ .

obeikandl.com

الحصار الأول للقسطنطينية [١]

بعث معاوية رضي الله عنه في سنتي ٤٧ ـ ٤٨هـ سرايا من قواته لتغير على الأراضي البيزنطية لتمهد الطريق في سبيل الوصول إلى **القسطنطينية** فتمكن مالك بن هبيرة السكوني من قضاء الشتاء في الأراضي البيزنطية، ولقد شهدت سنة ٤٩هـ/٦٦٩م أول حصار إسلامي لمدينة القسطنطينية ذلك أن نجاح قوات المسلمين في توغلهم في **الأراضي البيزنطية** بالإضافة إلى الصراعات الداخلية التي واجهها الإمبراطور قُسطانز الثاني نتيجة تمرد اثنين من قادته، هما: سيليوس وميزيريوس ، كل ذلك ساعد معاوية رضي الله عنه على أن يبعث قواته في **البر والبحر** بقيادة كل من فضالة بن عبيد الليثي وسفيان بن عوف العامري يساعدهم يزيد بن شجرة الرهاوي، تجاه القسطنطينية، ووصل الأسطول الإسلامي إلى خلقيدونية. ضاحية من ضواحي القسطنطينية على البر الآسيوي . وحاصرها توطئة لاقتحامها في محاولة لاختراق المدينة من تلك الناحية، ولكن انتشار مرض الجدري وفتكه بكثير من جند المسلمين علاوة على حلول الشتاء القارص جعل ظروف الجيش المحاصر صعبة للغاية، فما كان من فضالة بن عبيد الليثي، قائد الجيش البري إلا أن استنجد بمعاوية طالباً منه أن يمده بقوات إضافية، فأرسل معاوية رضي الله عنه مدداً من الجيش يضم بين أفراده مجموعة من الصحابة، أمثال: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو أيوب خالد بن يزيد الأنصاري، رضي الله عنهم، وكان القائد العام لهذه الفرقة هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وعندما وصل يزيد بقواته إلى خلقيدونية انضم إلى الجيش المرابط هناك، وزحفوا جميعهم نحو القسطنطينية وعسكروا خلف أسوارها ضاربين عليها الحصار حوالي ستة أشهر « من الربيع إلى الصيف » وكان يتخلل هذا الحصار اشتباكات بين قوات القوتين، وأبلى يزيد في هذا الحصار بلاءً حسناً وأظهر من دروب الشجاعة والنخوة والإقدام ما حمل المؤرخين على أن يلقبوه بـ« فتى العرب » . وكادت القوات الإسلامية أن تحرز انتصاراً لولا أنهم واجهوا صعوبات جمة منها: الشتاء الغزير المطر، والبرد القارص مما أدى إلى نقص الطعام والأغذية، وتفشي الأمراض بينهم، كما كان لمناعة أسوار القسطنطينية أثرها في تراجع المسلمين وإجبارهم مرة أخرى على العودة إلى بلاد الشام، كما كانت النار التي فتحها المتحصنون بها على جيش المسلمين من أهم الأسباب التي عوقت قدرتهم على فتحها، **ويعد غزو القسطنطينية من دلائل النبوة حيث أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: ... أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم ، وقد اشترك في غزو القسطنطينية عدد من كبراء الصحابة رضوان الله عليهم، طلباً للمغفرة التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .**

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

خريطة القسطنطينية (أسطنبول الحديثة) ، صممت في عام ١٤٢٢م من قبل رسامي الخرائط Cristoforo Buondelmonti فلورنسا (وصف ديزيل دي l'archipel ، Bibliothèque الوطنية ، باريس) هي أقدم خريطة عن المدينة ، والخريطة الوحيدة الناجية التي سبقت الفتح العثماني القسطنطينية في ١٤٥٣ م .

عمود قسطنطين

(جمبر لي تاش)، بدأ الإمبراطور قسطنطين بناء مدينته من جديد ووضع في منتصف ميدان قسطنطين نصباً عمودياً يحمل اسمه، مصنوع من الرخام السماقي المصقول والأسطواني والأحجار الكريمة التي جلبها من روما وزخرفت نهاية العمود على شكل باقات الزهور، ارتفاع المبنى ٥٠ م وأبعاده ٣٥×٣٧م وفيها أربعة مدرجات وقاعدة واحدة . جلب هذا العامود من قبل الرومان من إفريقيا إلى معبد أبولو الموجود في روما وفوقه إله الشمس، وتمثال أبولو؛ لكن الإمبرطور قسطنطين أمر بوضع ذكرى آلهة الشمس هيلوس على هيكله وحول رأسه سبعة كلاليب رمزية.

يحمل الهيكل في يده اليسرى صليباً مربعاً مصنوعاً من الذهب ويحمل في يده اليمنى حربة. حدثت بالعمود أضرار في العهد العثماني حتى تم ترميم محيطه الحديدي بسبب الحرائق والزلازل التي حدثت؛ وقاعدة العمود كما هو واضح من الصورة مبنية من صخور ارتفاعها ١١ م .

عمود قسطنطين في إحدى ساحات أستانبول التركية، ويرى خلفه أحد المساجد العثمانية القديمة.

وفاة أبي أيوب الأنصاري في حصار القسطنطينية[١]:

هو خالد بن زيد بن كليب، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً والعقبة والمشاهد كلها، وشهد مع علي رضي الله عنه قتال الخوارج، وفي داره كان نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قدم المدينة مهاجراً من مكة فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه حوله، ثم تحوّل إليها، وقدوفد أبو أيوب على عبد الله بن عباس لما كان والياً على البصرة في عهد علي، فبالغ في إكرامه، وقال لأجزينّك على إنزالك النبي صلى الله عليه وسلم عندك، فوصله بكل ما في المنزل فبلغ ذلك أربعين ألفاً، وجاء في رواية لما أراد الانصراف خرج له عن كل شيء بها، وزاده تحفاً وخدماً كثيراً وأعطاه أربعين ألفاً وأربعين عبداً، إكراماً له لما كان أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره، وقد كان من أكبر الشرف له. وهو القائل لزوجته أم أيوب حين قالت له: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ - أي في حديث الإفك - فقال لها: أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ فقالت: لا والله. فقال: والله لهي خير منك فأنزل الله ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور، الآية: ١٢) . وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي أيوب ومصعب بن عمير رضي الله عنهما صاحب الفتح السلمي الكبير بالمدينة النبوية. وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية، وكان في جيش يزيد بن معاوية وإليه أوصى وهو الذي صلى عليه. وقد جاء في رواية: أغزى أبو أيوب، فمرض، فقال: إذا متُّ فاحملوني، فإذا صافقتم العدوّ، فارموني تحت أقدامكم. أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ودفن أبو أيوب عند سور القسطنطينية، وقالت الروم لمن دفنه: يا معشر العرب قد كان لكم الليلة شأن. قالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا، والله لئن نُبش، لأُضرِبَ بناقوس في بلاد العرب ، وبعد مجيء الدولة العثمانية وفتح القسطنطينية أصبحت مكانة أبي أيوب الأنصاري عظيمة في الثقافة العثمانية، فقد درج السلاطين العثمانيون يوم يتربعون على الملك أن يقيموا حفلاً دينياً في مسجد أبي أيوب، حيث يتقلدون سيفاً للرمز إلى السلطة، التي أفضت إليهم وكان لأبي أيوب رضي الله عنه عند الترك خواصهم وعوامهم رتبة ولي الله الذي تهوي إليه القلوب المؤمنة وينظرون إليه كونه مضيف رسول الله، فقد أكرمه وأعانه وقت العسرة كما أنه له مكانة مرموقة بين المجاهدين واعتبروا ضيافته لرسول الله وجهاده في سبيل الله أعظم مناقبه وأظهر مآثره . وقد ترك أبو أيوب رضي الله عنه في وصيته بأن يدفن في أقصى نقطة من أرض العدو صورة رائعة تدل على تعلقه بالجهاد، فيكون بين صفوفهم حتى وهو في نعشه على أعناقهم وأراد أن يتوغل في أرض العدو حياً وميتاً، وكأنما لم يكفه ما حقق في حياته فتمنى مزيداً عليه بعد مماته، وهذا ما لا غاية بعده في مفهوم المجاهد الحق بالمعنى الأصح الأدق . ومن الغريب ما نراه في حياتنا من حرص بعض المسلمين إذا مات خارج بلده

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٣٤٦ - ٣٤٨ .

أن يوصي أهله بإرجاعه ودفنه في أرضه، والأرض أرض الله، والبلاد بلاد الله. وقد مدحه شعراء الأتراك في أشعارهم وهذا شيخ الإسلام، أسعد أفندي يشير إشارة لامحة إلى موقعه بقوله:

شهد المشاهد جاهداً ومجاهداً
ومكابداً بحـــروبه ما كابـــدا
حتى أتى بصلابة ومهابة
في آخر الغزوات هذا المشهدا
قد مات مبطوناً غريباً غازياً
فغدا شهيداً قبل أن يستشهدا

كان أبـو أيـوب رضـي الله عنه عندما خرج في غزوة القسطنطينية قد تقدمت بـه السن وأصبح شيخاً كبيراً وكان يقـول: قـال الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا...﴾ (التوبة، الآية: ٤١) لأجـدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً، وكان أبو أيوب رضـي الله عنه يعلم الناس الفهم الصحيح لآيـات الله ومفاهيم الإسلام فعن أبي عمران التجيبي قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. يعني الجماعة الذين غزوا من المدينـة. والروم ملصقو ظهورهم بحائط القسطنطينيـة، فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه، مه لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة: فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام، قلنا: هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة، الآية: ١٩٥) فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية (أستانبول اليوم).

مكان قبر أبي أيوب الأنصاري في أستنبول

الحصار الثاني للقسطنطينية في عهد معاوية [١]

لم يثن عدم تحقيق المسلمين لفتح المدينة في الحصار الأول ، أن يقوم معاوية رضي الله عنه في المضي قدماً في محاولاته لإعادة فتح القسطنطينية مرة ثانية، حيث أدرك في الوقت نفسه، أهمية السيطرة **على الجزر القريبة منها كعامل مساعد**. فبعد جزيرتي **قبرص و كوس**، فتح المسلمون جزيرة **رودس** في عام "٥٢هـ - ٦٧٢م" كما فتح أسطول إسلامي جزيرة خيوس، وسيطر المسلمون على أزمير وليكيا وقيليقيا وبذلك كون معاوية قد أحكم الطوق البحري على العاصمة البيزنطية .

وفي عام "٥٤ هـ-٦٧٤م" **بدأ الحصار الثاني** للقسطنطينية واستدعى الأمر تعزيز القوة البحرية في مياهها، فانضم إليها أسطول إسلامي آخر بقيادة جنادة بن أبي أمية بعد أن فتح جزيرة أرواد القريبة منها حيث اتخذها المسلمون قاعدة انطلاق .

وتخلل الحصار مناوشات بين الأسطولين الإسلامي والبيزنطي ، في حين تراشقت القوات البرية الإسلامية المرابطة حول العاصمة، مع الجنود البيزنطيين المرابطين على أسوارها، بالقذائف والسهام، استمر هذا الوضع طيلة سبعة أعوام حتى عام "٦٠هـ - ٦٨٠م" اقتصرت العمليات العسكرية على فترتي الربيع والصيف لصعوبة القتال في الشتاء .

وصمدت المدينة أمام الحصار، فلم يحرز المسلمون انتصارات حاسمة بفعل أن جهودهم تركزت على محاصرة المدينة من جهة البحر. أما الحصار البري فكان مزعزعاً حيث ظلت الطرق البرية وطريق البحر الأسود مفتوحة أمام البيزنطيين مما جعل منها متنفساً وطريقاً للإمدادات والمؤن، وهذا خطأ إستراتيجي ترتبت عليه عدة نتائج بالغة الأهمية، إذ توقف زحف المسلمين إلى أوروبا من جهة الشرق بالإضافة إلى أنه عزز مركز الإمبراطورية البيزنطية.

والواقع أنه تضافرت عدة عوامل جعلت المسلمين يفكون الحصار عن القسطنطينية لعل أبرزها:

- مناعة أسوار المدينة.
- رداءة الطقس وقسوته.
- التيارات المائية الشديدة الانحدار التي كانت تبعد عن الأسوار.
- عدم إحكام الحصار البري.
- استعمال النار الإغريقية من قبل البيزنطيين.
- عوامل داخلية تتعلق بكل من الدولتين الإسلامية والبيزنطية. ففيما يتعلق بالدولة الإسلامية ، نرى أن معاوية وجد نفسه بحاجة إلى هدنة طويلة مع البيزنطيين، بعد أن أدرك أن مدة الحصار قد طالت دون أن يتحقق

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٣ - ٣٥ .

سيطرة المسلمين على بعض الجزر الهامة والمواقع القريبة من القسطنطينية

كوس: مدينة تقع على الساحل الشمالي الشرقي لجزيرة كوس الواقعة ضمن بحر إيجة، مقابل السواحل التركية إذ تبعد تقريباً مسافة ٨ كم عن ساحل شبه جزيرة هاليكارناسوس، الذي يقع حالياً في نطاق الجمهورية التركية.

استمرت فترة السيطرة العثمانية على الجزيرة لمدة ٤٠٠ سنة، أي حتى عام ١٩١٢م، عندما احتلت إيطاليا الجزيرة بالكامل مع عدد من جزر الذوذيكانيسيا الأخرى.

وخلال الحرب العالمية الثانية أصبحت تابعة لألمانيا النازية، ولم تصبح جزءاً من اليونان إلا عام ١٩٤٧ م.

ميناء كوس

الهـدف، ورأى بعـد أن أحس بدنو أجلـه، أن من مصلحة المسلمين أن يعود هذا الجيش الضخم المرابط حول العاصمة البيزنطية إلى دمشق تحسباً لأية مشكلات قد تواجه الدولة الأموية بعد وفاته.

أما فيما يتعلق بالبيزنطيين ، فقد كانت الدولة البيزنطية تواقة إلى إنهاء هذا الحصار عن عاصمتها بعد أن أرهقتها وأنهك قواها.

ونتيجة للمفاوضات التي جرت بين الطرفين تم الاتفاق على ما يلي :

-يدفـع معاويـة جزية سنويـة للبيزنطيين مقدارها ثلاثة آلاف قطعة ذهبيـة، بالإضافة إلى خمسين أسيراً، وخمسين حصاناً.

-تستمر الهدنة ثلاثين عاماً.

موقع القسطنطينية وأهم التحصينات الدفاعية فيها

١ – د. محمد سهيل طقّوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٣ – ٣٥ .

آيا صوفيا: كاتدرائية سابقة بنيت على أنقاض كنيسة قديمة، أقامها الإمبراطور قسطنطين الكبير، وانتهت في عام ٣٦٠م، في عهد الإمبراطور قسطنطينوس الثاني، ثم أصبحت مسجداً في العهد العثماني، وحالياً متحفاً يقع بمدينة أسطنبول بتركيا. و يعد البناء من أبرز الأمثلة على العمارة البيزنطية، والزخرفة العثمانية.

الإمبراطور أيوانس كومنينوس الثاني والإمبراطورة ايرينة والكسيوس وفي الوسط رسم تخيلي للعذراء وابنها داخل آيا صوفيا

المؤلف أمام محراب الصلاة حينما كان مسجداً

ثانياً : الجراجمة في عهد معاوية

في أثناء الحروب والغارات بين المسلمين والبيزنطيين، في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كان هناك طرف ثالث يشارك في النزاع القائم بينهما، يطلقون على أنفسهم اسم « الجَرَاجِمة » نسبة إلى مدينة« الجُرَجُومة [1] » ، وأصولهم غير معروفة، ويشير البلاذري إلى أنهم كانوا يدينون بالنصرانية وأنهم كانوا لذلك يتبعون« بطريق أنطاكية ووالياها » . وعندما فتح المسلمون بلاد الشام أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح حبيب بن مسلمة الفهري: فغزا الجرجومة فلم يقاتلو أهلها ولكنهم بادروا بطلب الأمان والصلح، فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام، وأن لا يُؤخَذوا بالجزية، وأن يُنَفِّلوا أسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين إذا حضروا حرباً معهم في مغازيهم. ولكن الجراجمة لم يلبثوا أن نقضوا اتفاقهم هذا، وصنعوا حاجزاً بين المسلمين والبيزنطيين واستطاعوا عرقلة سير الفتوحات الإسلامية في آسيا الصغرى، فكانوا متذبذبين مرّة مع المسلمين وأخرى مع الروم وقد بقيت شوكة في ظهر الجيوش الإسلامية ليس في عهد معاوية لكن حتى عهد عبد الملك، ثم ما لبثت أن تفرقت في بلاد الشام وآسيا الصغرى، فخفّ خطرها . ومهما يكن، فلا بد من القول بأن الإنشاءات والمجهودات التي قام بها معاوية رضي الله عنه في سبيل الوصول إلى القسطنطينية وإن كانت لم تثمر خلال حياته إلا أنها لعبت دوراً أساسياً في حفز من جاؤوا بعده من الخلفاء لأن يكملوا المسيرة التي بدأها .

---

١ - الجراجمة قوم من النصارى كانوا يعيشون في الجرجومة، مدينة على جبل اللكام (الأمانوس) بالثغر الشامي فيما بين بيّاس وبوقة قرب أنطاكية، ويطلق المؤرخون البيزنطيون عليهم اسم المَرَدة (Maradaites) وكانوا تابعين لبطريرك أنطاكية ووالياها قبل الفتح الإسلامي.

أصل الجراجمة

ظهر اسم الجراجمة بين القرن السّابع والعاشر الميلادي بشكلٍ ومضات قاوَموا الحكمَ الأموي فترة من الزمن استغلالاً للظروف الداخلية التي مرت بها الدولة الأموية في فترة حروبه مع الخوارج ومع ابن الزبير. انتسبوا لـ "جرجوما" المدينةَ في جبلِ أمانوس، الواقعة بين سوريا وتركيا. وقال المؤرّخ البيزنطي تيوفانوس (٨١٧ ٨٥٠ م) عنهم: "كانوا متمَركزين في لبنان سنة ٦٦٩ م، إثرَ المعارك، وفي مدّة وجيزة، غدوا آلافاً عدّة. واحتلّوا ما بين جبل أمانوس، والمدينة المقدّسة، أورشليم. وكانوا يُشكّلون جِداراً من النُّحاس، ضدّ الغزوِ الإسلامي، ويُلقونَ الرّعبَ ما بين الأمانوس وأورشليم" . كما نسبهم الأصفهاني إلى قوم من الفرس نزحوا غرباً واستوطنوا منطقة جرجومة. اما انستاس الكرملي فوصفهم بتجمع عسكري وليس بقوم أو مرتبطين بدين. و هو رأي قوي؛ بأنهم تجمع عسكري وليسوا قوماً ولا مرتبطين بدين أو قوم لعدة أسباب أهمها :

أولاً- نسبتهم إلى جرجوما وهي مدينة، فلو كانوا قوماً لنسبوا إلى قومهم.

ثانياً - قول المؤرخ البيزنطي تيوفانوس : « وفي مدّة وجيزة، غدوا آلافاً عدّة. واحتلّوا ما بين جبل أمانوس، والمدينة المقدّسة، أورشليم » ؛ إذ لوكانوا قوماً لتزايدوا تزايداً طبيعياً وكونهم تجمعاً عسكرياً تزايدوا حتى غدوا آلافاً في مدة وجيزة حسب قوله.

ثالثاً- قول البلاذري في الفتوح « واستَحوذوا على قممِ لبنان وانضم إليهم كثيرون » إذاً كان انضمام الكثيرين لهذا التجمع الذي عرف بحركة الجراجمة.

قال بعض المؤرخين إنهم كانوا يَدينون بالمَجوسية ثمّ تنصّروا وعمّرت مواطنَهم بالأديار والمناسك والصوامع، حتّى دُعِيَت طور عابدين أي جبل العُبّادِ والقدّيسين.

المواقع التقريبية للجراجمة « المَرَدَة » في العهد الأموي

مدينة مرعش أو كهرمانماراش كما أسماها الأتراك بعد شهداء في عاصمة محافظة كهرمانماراش في تركيا

ثالثاً : فتوحات الشمال الإفريقي في عهد معاوية

قبل أن نتحدث عن فتوح المسلمين لشمالي إفريقيا لابد لنا من تحديد المناطق الجغرافية التي حدثت فيها الأحداث. وتنقسم إلى أربعة أقسام [١] :

١- برقة وطرابلس.

٢- إقليم إفريقية: يقابل تقريباً تونس الحالية، ويعرف بالمغرب الأدنى .

٣- المغرب الأوسط: يقابل ما يعرف اليوم بالجزائر .

٤- المغرب الأقصى : يقابل ما يعرف اليوم بالمملكة المغربية .

مرت فتوح شمالي إفريقيا بسبع مراحل، استكملت خلالها عملية الفتح وانتهت في أيام عبد الملك بن مروان .

تعتبر **المرحلة الأولى** من فتوح المسلمين لشمالي إفريقيا، وهي فتح برقة، استكمالاً لفتح مصر. وقد تمت على يد القائد عمرو بن العاص في عام (٢٢هـ/٦٤٣م) كما فتح عمرو طرابلس الغرب وصبراتا وأتم فتح فزان الليبية (انظر كتابنا الموسوم « أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين » .

وجاءت **الخطوة التالية** على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح في عام (٢٧هـ/٦٤٨م) ففتح سبيطلة وبث جنوده في البلاد فبلغ قفصة وفتح حصن الأجم (الجم)، وجنوبي القيروان .

وشُغِل المسلمون، بعد ذلك بمشكلاتهم الداخلية، فتوقفت حركة الفتوح مؤقتاً. وعندما استقر الأمر لمعاوية استأنف النشاط الجهادي، فأرسل في عامي (٤١ - ٤٥ هـ / ٦٦٠ - ٦٦٥ م)، حملتين بقيادة معاوية بن حديج الكندي الخولاني ، وأمر القيام بغارات على المنطقة الواقعة غربي طرابلس . وانتهى هذا القائد إلى سهل قمونية إلى الجنوب من قرطاجنة (انظر الخارطة الخاصة بذلك في الصفحة المقابلة).

في هذه الأثناء، أقام القائد البيزنطي نقفور معسكره في مدينة سوسة الساحلية، مما جعل أمر الصدام بين الطرفين حتمياً. وفعلاً دارت بينهما مناوشات طفيفة انسحب على إثرها نقفور من المنطقة، في حين لم يستثمر ابن حديج انتصاره بتركيز أقدام المسلمين فيها على الرغم من أنه فتح سوسة وجلولاء [٢]، لكن رويفع ابن ثابت الأنصاري استطاع أن يرسخ موطئ قدم للمسلمين بعد أن أصبح والياً على طرابلس الغرب ومن ثم قيامه بفتح بنزرت وجزيرة جربة.

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٥ .

٢ - هنالك مدينتان تحملان هذا الاسم، إحداهما بفارس، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهي على طريق خراسان، وبها كانت الوقعة المشهورة بين المسلمين والفرس سنة ١٦هـ ، وهذه التي بإفريقيا بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً . ياقوت الحموي معجم البلدان (١٥٦/٢) .

حملتا معاوية بن حديج السكوني على الشمال الإفريقي

١ - معاويـة بـن أبـي سفيان يرسل معاوية بن حُديج (١) على رأس حملة إلى إفريقية « تونس » في أول سنة من حكمه سنة ٤١هـ .

٢ - معاوية بن أبي سفيان يرسل مرة ثانية سنة ٤٥هـ معاوية بن حُديج على رأس حملة من عشرة الآف مقاتل، (٢) فمضى حتى دخل إفريقية « تونس » وكان معـه عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الملك ابن مروان، ويحيى بن الحكم بن العاص، وغيرهم من أشراف قريش،

٣ - الإمبراطـور البيزنطـي (٣) يبعـث إلى إفريقية بطريقاً يقال له: نقفور في ثلاثين ألف مقاتل، فنزل الساحل.

٤ - معاويـة بـن حديج يبعث عبد الله بن الزبير في خيل كثيفة، فسار حتى نزل على شرف عال ينظر منه إلى البحر بينه وبين مدينة سوسة، اثنا عشر ميلاً، فلما بلغ ذلك نقفور أقلع من في البحر منهزماً من غير قتال .

٥ - أرسل ابن حديج عبد الملك بن مروان في ألف فارس إلى مدينة جلولاء فحاصرها وقتل من أهلها عدداً كثيراً حتى فتحها عنوة.

٦ - أغزى معاوية بن حديج جيشاً في البحر (٤) إلى سقلية في مائتي مركب، فسبوا وغنمـوا وأقاموا شهراً، ثم انصرفوا إلى إفريقيـة بغنائم كثيرة، وبعد هذه الفتوح عاد معاوية بن حديج إلى مصر دون أن يترك قائداً أو عاملاً .

معاوية بن حُدَيج الكندي له صحبة ورواية قليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كان فـي شـيء شفـاء فشربة عسل أو شرطة محجم، أو كية نار، وما أحب أن أكتـوي ، وكان رضي الله عنه ملكاً مطاعاً من أشراف كنـدة ، وكان مـن خيرة الأمراء، فعن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة، فقالت: ممن أنت؟ قلت من أهل مصر، قالت: كيـف وجـدتم ابن حُديج في غزاتكم هذه؟ قلت: خير أمير، ما يقف لرجل منـا فرس ولا بعير إلا أبدل مكانه بعيراً، ولا غلاماً إلا أبدل مكانـه غلامـاً. قالـت: إنه لا يمنعني قتله أخي أن أحدثكم ما سمعت من رسول الله صلى الله عليـه وسلم: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به، ومن شقّ عليهم فأشقق عليه ، وبعد أن استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كانت جبهة شمال إفريقيـا، مـن أولى الجبهات التي وجه إليها اهتمامه، لأنها تتاخم حدود مصر الغربية من ناحية ومن ناحية أخرى فهي تخضع لنفوذ الدولة البيزنطية. د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٣٦ .

Obeikandl.com

بعد فتوحات معاوية بن حديج عاد إلى مصر دون أن يترك قائداً أو عاملاً، ويفهم من هذا التصرف ومن سلوك معاوية بن حديج في أثناء هذه الغزوة أن البربر أهل البلاد كانوا قد أصبحوا حلفاء للمسلمين على الروم، وأن المسلمين كانوا يكتفون إلى ذلك الحين بإبعاد الخطر الرومي من هذه الناحية وعندما استعاد معاوية بن حديج **طرابلس الغرب** ترك فيها **رويفع بن ثابت الأنصاري** والياً عليها **سنة ٤٦هـ** ففزا منها إفريقية « تونس » ودخلها سنة ٤٧هـ ، وفتح جزيرة **جربة** التي كان يسكنها البربر، وقد تحدثت المراجع عن كثرة السبايا في هذه الغزوة، وقام رويفع بن ثابت الأنصاري بتذكير المسلمين في هذه الغزوة بأحكام وطء السبايا، حيث قال: أما إني لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم حُنين: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يُقسم. وقد بقي في ولاية طرابلس الغرب، ثم ولاه مسلمة بن مخلد ولاية مصر وبرقة، وبقي عليها أميراً ومات بها سنة ٥٦هـ وقبره معروف في الجبل الأخضر **ببرقة** في مدينة البيضاء وهو آخر من توفي من الصحابة هناك، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أحاديث، وكان فقيهاً من أصحاب الفتيا من الصحابة وكان خطيباً مفوهاً .

رويفع بن ثابت الأنصاري الخزرجي صحابي من بني مالك بن النجار، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، كما شهد فتوح الشام.

تولى في عهد معاوية بن أبي سفيان أمر طرابلس الغرب سنة ٤٦ هـ ومنها غزا إفريقية سنة ٤٧ هـ، ففتح جربة و بنزرت ووصل إلى موقع القيروان حيث أسس مسجداً عرف بعد تأسيس القيروان باسم « مسجد الأنصار » أو « مسجد سيدي رويفع »، ثم انتقل إلى برقة في مدينة البيضاء شرقي ليبيا وبقي بها إلى أن مات سنة ٥٦هـ، ودفن في مدينة البيضاء وأقيم في مدينة البيضاء ضريح له ومسجد سمي (سيدي رويفع) وهو من أشهر المعالم الدينية في المدينة.

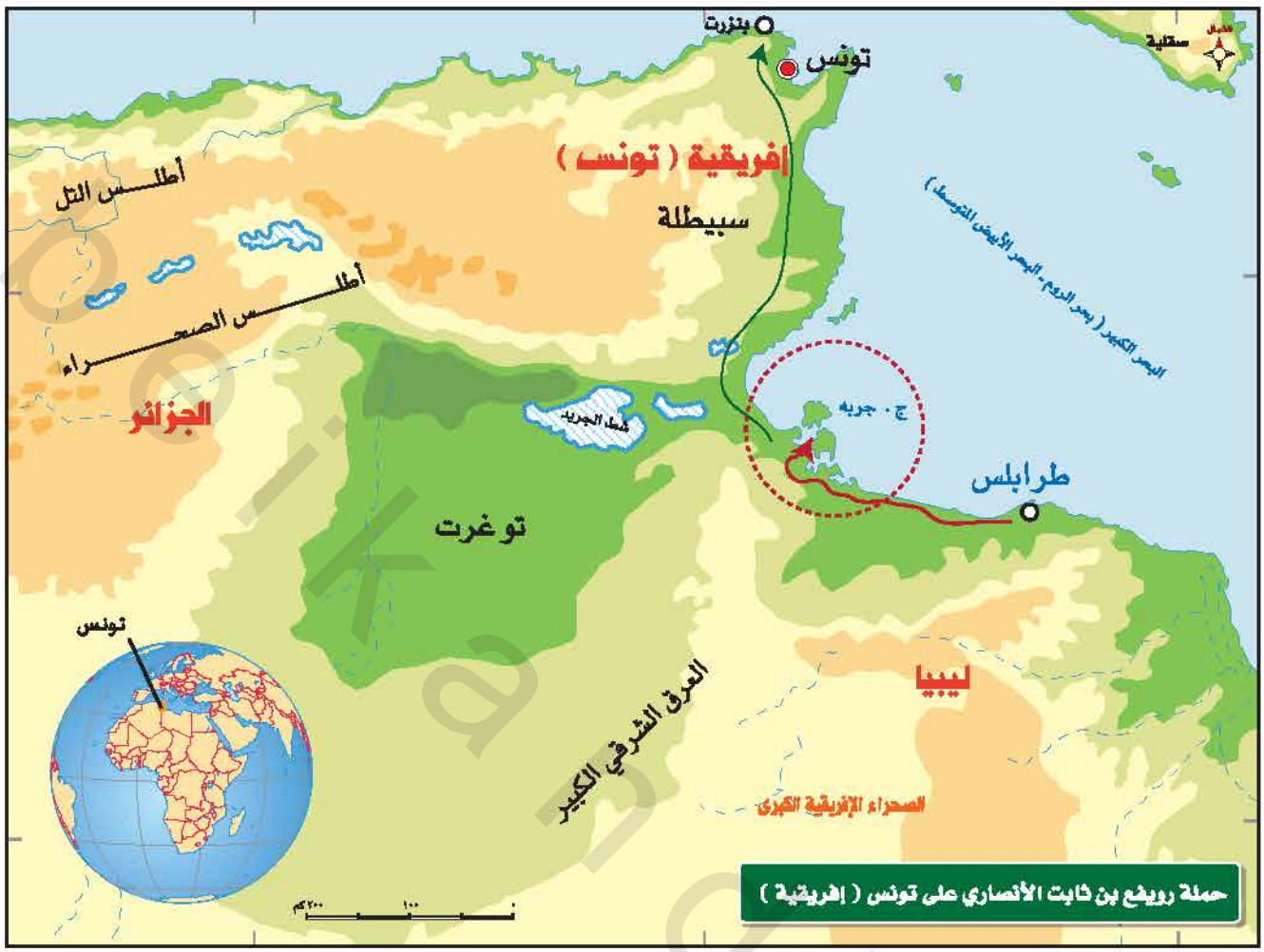

حملة رويفع بن ثابت الأنصاري على تونس (إفريقية)

ترك الإسلام لأصحاب الديانات الأخرى حرية ممارستهم الدينية في كل البلاد المفتوحة، ومن خلال هذه الصورة الماثلة أمامنا لكنيس الغريبة في جزيرة جربة التونسية خير شاهد على عدالة الفاتحين وسمو الإسلام، وقبل قيمه وتعامله مع الأديان الأخرى باحترام متبادل وفق ضوابط الكتاب والسنة .

كنيس الغريبة لليهود بجزيرة جربة التونسية

أراد الخليفة معاوية رضي الله عنه إعطاء حركة الفتوح دافعاً تصعيدياً، وقد تمثل ذلك بفصل برقة وطرابلس الغرب عن مصر في عام (٤٩هـ/٦٦٩م) على الأرجح، وولّى عليها عقبة بن نافع الفهري الذي سطر التاريخ أعماله الباهرة.

وبتولية عقبة، تبدأ **المرحلة الثانية** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا، وهي مرحلة مهمة لأن القائد سينفذ إستراتيجية جديدة سوف تؤمّن الاستقرار للمسلمين في المنطقة، ليصبح المغرب جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي[١].

بدأ عقبة نشاطه بفتح عدد من المواقع الإستراتيجية، في المغرب الأدنى منفذاً خطة محكمة تقضي بتشكيل حاميات عسكرية في المدن والمواقع، التي يتم فتحها بهدف الاحتفاظ بمكتسبات الفتح، مثل ودان وفزان وخاور وغدامس[٢].

لقد أدرك معاوية من خلال تجربته السابقة، أن أهل شمالي إفريقيا يدخلون في طاعة المسلمين طالما بقي هؤلاء في بلادهم، فإذا ما انصرفوا عنهم ارتدوا عن الإسلام وشقوا عصا الطاعة. وكانت **برقة وزويلة** قاعدتا الفتح الإسلامي لشمالي إفريقيا متطرفتين مما يساعد أهل المغرب الخروج على المسلمين في كل مرة ينتهون فيها من غزوهم لها، فرأى أن ينشئ قاعدة إسلامية في شمالي إفريقيا تكون مركزاً لحكم إقليمي ثابت الدعائم، منها تخرج الجيوش الإسلامية للفتح والاستقرار في المناطق المجاورة لها؛ فضلاً عن تأمين الخطوط الدفاعية الضرورية للمسلمين في هذه المنطقة، بالإضافة إلى هدف عقائدي في أن تكون منطلق الدعوة الإسلامية بين البربر سكان شمالي إفريقيا الأصليين.

فاختط مدينة **القيروان** في عام (٥٠هـ/٦٧٠ م) في منطقة صحراوية تقع إلى الجنوب من قرطاجنة. ويتميز موقعها الجغرافي بأنه يقيها التعرض لغزوات البيزنطيين البحرية، ويتوافر فيها طيب المراعي. وجاء تأسيسها دليلاً على الإصرار على مواصلة الفتح الإسلامي العظيم.

وقامت هذه المدينة بدور كبير في فتح شمالي إفريقيا كلها، والانطلاق إلى فتح بلاد الأندلس، إضافة إلى نشر الدين الإسلامي في المغرب بالحكمة والموعظة الحسنة، وأضحت القيروان من أهم مراكز الحضارة الإسلامية.

ويبدو أن سياسة عقبة بن نافع التي انتهجها مع البربر قد اتسمت بالشدة، مما جعل الأمن متعذراً، وأدى بهؤلاء إلى التحالف مع البيزنطيين. وقد أدرك معاوية بحكمته وحنكته خطر هذه السياسة، فعزل عقبة في عام (٥٥ هـ/٦٧٥م)، وولّى مكانه أبا المهاجر دينار الأنصاري - كما سيتضح لنا إن شاء الله في الصفحات القادمة -.

---

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٦.

٢ - ابن عبد الحكم، فتوح مصر وإفريقيا، ص ٢٦٤.

تحرك القوات الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع

مسرح عمليات عقبة بن نافع قبل بناء القيروان

عقبة بن نافع الفهري وبناء مدينة القيروان

لم يكن عقبة بن نافع قائداً عسكرياً محضاً فقط، بل كان صاحب عقلية مبدعة وفكر إستراتيجي فذ، وهو يصح أن يطلق عليه خبير بشئون المغرب والشمال الإفريقي، ومن خلال حملاته الجهادية المستمرة على الشمال الإفريقي، أدرك أهمية بناء مدينة إسلامية في هذه البقاع وذلك لعدة أسباب من أهمها :-

١. تثبيت أقدام المسلمين والدعوة الإسلامية هناك وذلك أن عقبة قد لاحظ أمراً هاماً أن أهل الشمال الإفريقي إذا جاءهم المسلمون يظهرون الإسلام وإذا انصرفوا عنهم رجعوا مرة أخرى إلى الكفر، فكان بناء مدينة إسلامية خير علاج لهذه الظاهرة الناجمة عن غياب قاعدة إسلامية ثابتة للإسلام لنشر الهدى والنور وسط أفراد المجتمع.

٢. ضرورة تكوين قاعدة حربية ثابتة في مواجهة التهديدات البيزنطية المتوقعة بعد فتح الشمال الإفريقي .

٣. أن تكون هذه المدينة دار عزة ومنعة للمسلمين الفاتحين، ذلك لأنهم تفرقوا في البلاد كحاميات على المدن المفتوحة، وهذا التفرق قد يورث الضعف والوهن مع مرور الوقت خاصة لو داهم عدو كبير العدد هذه البلاد.

لهذه الأسباب وغيرها قرر عقبة بن نافع بناء مدينة القيروان في القرن الشمالي لإفريقية في مكان تتوافر فيه شروط الأمن الدعوي والحركي للمسلمين بحيث تكون دار عزة ومنعة وقاعدة حربية أمامية في القتال، ومنارة دعوية علمية لنشر الإسلام، وانطبقت كل الشروط المطلوب توافرها في منطقة أحراش مليئة بالوحوش والحيات، فقال له رجاله: "إنك أمرتنا بالبناء في شعاب وغياض لا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيّات وغير ذلك من دواب الأرض" ، وكان في عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم وقال: "إني داع فأمّنوا" ، وبالفعل دعا الله عز وجل طويلاً والصحابة والناس يأمّنون، ثم قال عقبة مخاطباً سكان الوادي: "أيتها الحيّات والسباع، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتحلوا عنا فإنا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه".

وكان عقبة بن نافع مجاب الدعوة، وقد رأى قَبيل من البربر كيف أن الدواب تحمل أولادها وتنتقل، فأسلموا ثم شرع الناس في قطع الأشجار وأمر عقبة ببناء المدينة فبنيت وبني المسجد الجامع، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وتم أمرها سنة ٥٥هـ وسكنها الناس، وكان في أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا، فتغير على العدو ودخل كثير من البربر الإسلام، واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها .

يعتبر **الأمازيغ** هم أول من سكن البلاد؛ لكن المحطة الأبرز في تاريخ تونس القديم تتمثل في وفود الفينيقيين من لبنان والذين قاموا بتأسيس قرطاج في القرن التاسع قبل الميلاد. لكن سرعان ماسيطر الرومان على شمال إفريقيا حتى القرن الخامس الميلادي والذي شهد سقوط إمبراطورية روما، بعدها قدم إلى تونس مجموعات عرقية أوروبية أهمها الوندال. وفي القرن الثامن الميلادي **فتح العرب المسلمون** البلاد ثم تلى ذلك مجيئ عدد كبير من العائلات والقبائل العربية لتأخذ تركيبة البلاد شكلها الحالي. شهدت البلاد أيضاً وفود آلاف الأندلسيين الذين التجئوا إليها بعد طردهم من قبل النصارى كما عرفت ابتداءاً من القرن السادس عشر الميلادي استيطان عدد كبير من العائلات التركية. ومعظم التونسيين اليوم (٩٩٪) مسلمين سنة على مذهب الإمام مالك رحمه الله، مع وجود ٢٠٠٠ يهودي في جزيرة جربة التونسية حسب مصادر تونسية و ١٥٠٠ حسب مصادر يهودية، ويهود تونس العاصمة قدموا من إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد بعد اضطهادهم من قبل الإسبان. لكن يهود جربة قدموا من المشرق العربي بعد حرق معبدهم من قبل نبوخذنصر، سنة ٥٨٧ ق . م ، ويوجد حوالي ٥٠٠٠٠ نصراني معظمهم من فرنسيي تونس، أو توانسة من أصول إيطالية و مالطية ولاتوجد أي أرقام رسمية لتوانسة متنصرة.

أحد أسوار مدينة القيروان التاريخية والتي بناها عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ

استمر بناء مدينة القيروان في تونس الخضراء قرابة الخمس سنوات، حتى أصبحت القيروان درة المغرب، بعد ما شيّد فيها عقبة جامعاً كبيراً أصبح منارة للعلم والفكر والأدب، يقصده العلماء من كل مكان، وأضحى ملتقى للدعاة والعلماء والمجاهدين، وهو أول جامعة إسلامية على مستوى العالم آنذاك.

أحد مداخل المدينة القديمة

obeikandl.com

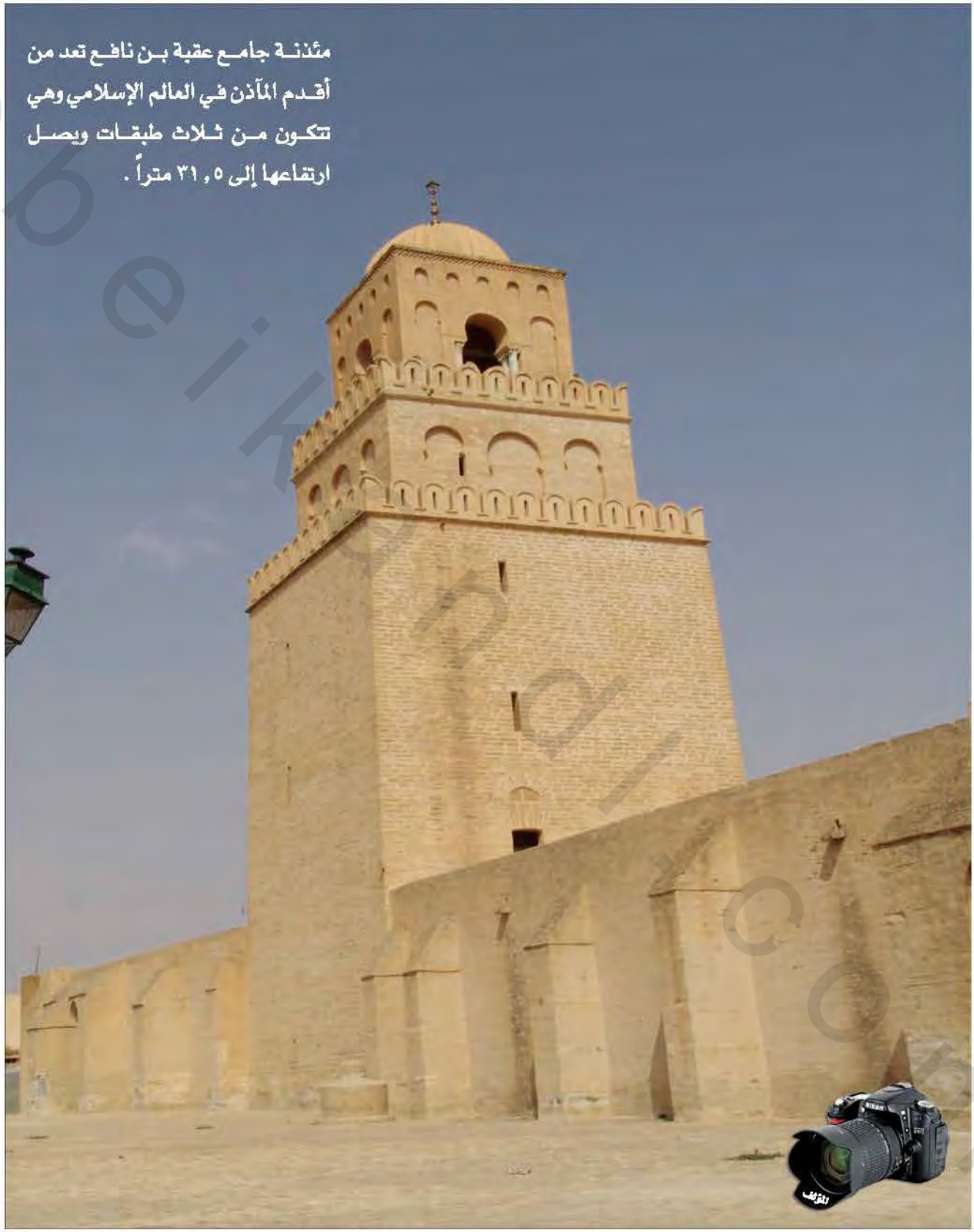

مئذنة جامع عقبة بن نافع تعد من أقدم المآذن في العالم الإسلامي وهي تتكون من ثلاث طبقات ويصل ارتفاعها إلى ٣١,٥ متراً .

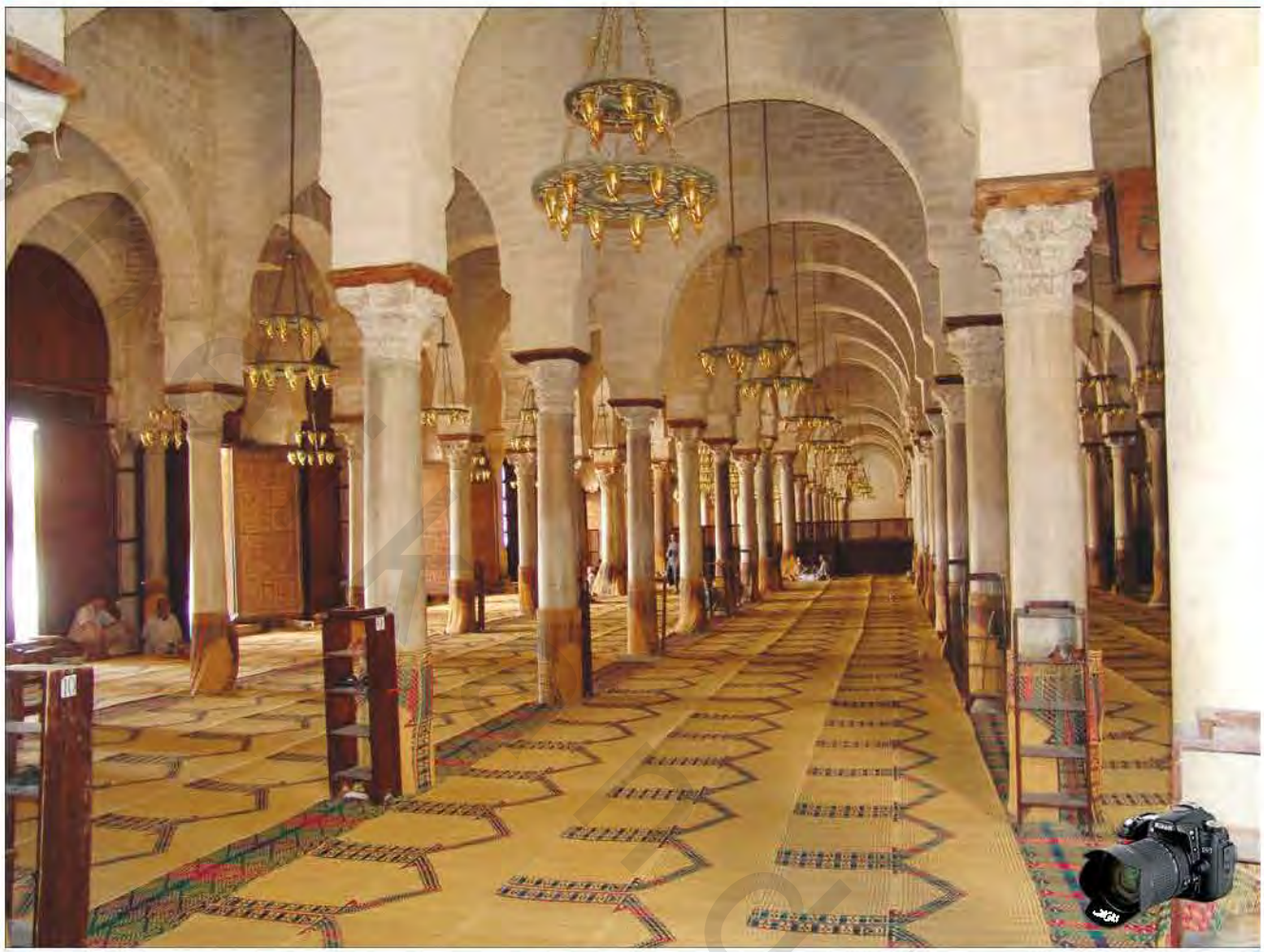

أعمدة بيت الصلاة فرشت أرضيته بالحصير، وحينما صليت فيه شعرت بأنني في القرن الأول الهجري

يشغل جامع القيروان مساحة مستطيلة غير منتظمة الاستطالة، وتسند جدرانه الخارجية مساند مختلفة الحجم والشكل وتعلو سقفه من الخارج خمس قباب، وللمسجد ١١ باباً للدخول، يعلو الباب الشرقي قبة ويُعرف هذا الباب باسم (الله رجانا) وتُشاهد كذلك ثلاثة أبواب أخرى في نفس الجانب ويعلو الباب المسمى بـ (باب السلطان) قبة أخرى.

ويتقدّم الأبواب التي في الجهة الشمالية بهو، ويتكوّن رواق المسجد من ١٧ طارمة تفصلها بائكات (البائكة عمود في قمته تاج وقوس)، وللمسجد محراب على شكل تجويف داخل الجدار يشبه حدوة الفرس ويكتنفه عمودان تيجانهما على الطراز البيزنطي، في طاقية المحراب زخارف ملونة باللون الأخضر ومنبر المسجد خشبي نفيس، وقبة المسجد مضلعة الشكل يبلغ قطرها ٥/٨٠م والمنارة مكوّنة من ثلاث طبقات مربعة الشكل تعلوها قبة صغيرة.

القبة التي تعلو باب البهو المؤدي إلى بيت الصلاة

ورث جامع القيروان الكبير موضع المصلى الإسلامي الأول في بلاد المغرب، والذي شيده في عام ٥٠ هـ/٦٧٠ م عقبة بن نافع.

وبعد إعادة تجديده التي قادها الحسن بن النعمان في عام ٨٤ هـ/٧٠٣ م، جرى توسيعه إبَّان حكم الوالي الأموي، بشر ابن صفوان (١٠٣ -١٠٩ هـ/٧٢٢ -٧٢٨م). وحصل تجديد آخر له خلال حكم يزيد بن هيثم في عام ١٥٥ هـ/٧٧٣ م. وقد أعيد بناء الجامع بشكل كلي برعاية الأمير الأغلبي، زيادة الله، في عام ٢٢١ هـ /٨٣٦ م، ليتخذ المسجد حينها أبعاده الحالية.

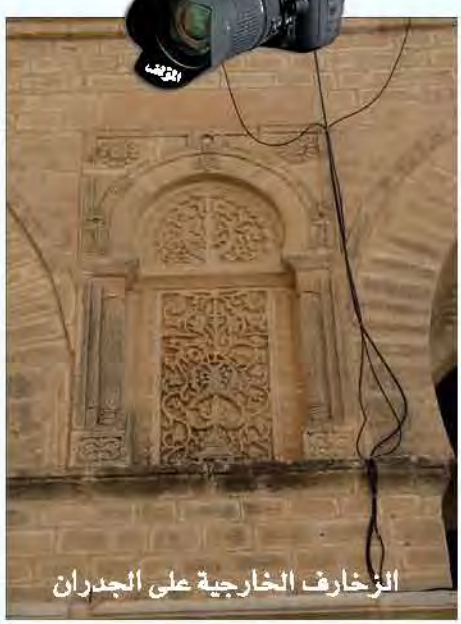

الزخارف الخارجية على الجدران

وبعزل عقبة بن نافع الفهري من قبل والي مصر الجديد **مسلمة بن مخلد**، وتعيين **أبي المهاجر دينار** تبدأ **المرحلة الثالثة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا، وقد اتسمت بمنهجية أكثر اعتدالاً في التعامل مع البربر مما مهد الطريق لتغلغل الدين الإسلامي بين السكان.

وأدرك أبو المهاجر الدور البيزنطي في تأليب البربر ضد المسلمين ، فقرر أن يضع حداً لهذا الدور . وتتضح هذه السياسة عندما نلاحظ أن حملاته توجهت كلها **ضد الوجود البيزنطي في منطقة الساحل**، خاصة عاصمتهم **قرطاجنة**، فهاجمهم وأجبر أهلها على طلب الصلح، وفتح جزيرة شريك الإستراتيجية القريبة منها، واتخذها قاعدة عسكرية ليراقب تحركات البيزنطيين، وبذلك حقق أول نصر عسكري وسياسي عليهم.

ثم حدث أن تابع أبو المهاجر حملاته ضد الوجود البيزنطي ، ففتح **ميلة** التي تتوسط المغربين الأدنى والأوسط، واستقر بها ومنها أخذ يبث الدعوة الدينية بين البربر في المغرب الأدنى الذين تقبلوها ودخلوا في الإسلام[١].

وبعد أن اطمأن أبو المهاجر على أوضاع **المغرب الأدنى**، استأنف حركة الجهاد لفتح **المغرب الأوسط**، وقد جمعت **البربر البيزنطيين** في هذا الإقليم **مصلحة مشتركة** تتمثل بوقف التقدم الإسلامي، ثم طرد المسلمين من المغرب الأدنى.

كانت قبيلة أوروبا البربرية تتزعم المغربين الأوسط والأقصى بقيادة زعيمها **كسيلة بن لمزم** الذي أدرك مدى ما يشكله المسلمون على وطنه ودينه النصراني من خطر، لذلك قام ليواجههم بشراسة. ولدرء هذا الخطر الداهم جمع كسيلة جيشاً كثيفاً، وعسكر في تلمسان بانتظار الصدام المرتقب مع أبي المهاجر. وفعلاً التقى الجمعان، ودارت بينهما رحى معركة عنيفة اعتبرها كل طرف معركة مصير انتهت بانتصار المسلمين، وتمزق جيش كسيلة، وتشتت في الصحراء وأُسِر كسيلة فحمل إلى أبي المهاجر الذي عاملة معاملة طيبة حيث طمع في إسلامه؛ لأنه لو أسلم فسيكون إسلامه سبباً في إسلام قومه بفضل مكانته الكبيرة بينهم. وفعلاً دخل كسيلة وقومه في الإسلام واستخدمهم أبو المهاجر في فتح **تلمسان**.

وعاد أبو المهاجر إلى **القيروان** بعد أن اطمأن على أوضاع المغرب الأوسط وإلى إسلام البربر، حيث راح يراقب تحركات **البيزنطيين** ونشاطهم، ويعمل على إزالة نفوذهم في الشمال الإفريقي. لكن لم يطل به المقام، فقد توفي مولاه **مسلمة بن مخلد**، والي مصر، في عام (٦٢هـ/٦٨٢م) وكان سنداً قوياً له بعد الله. فأعاد **يزيد بن معاوية عقبة بن نافع** إلى إفريقيا للمرة الثانية، وعزل أبا المهاجر. فابتدأت بذلك مرحلة أخرى من مراحل فتوح شمالي إفريقيا هي **المرحلة الرابعة**[٢].

---

١ – د. محمد علقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٨ .

٢ – د. محمد علقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٨ .

أطلس تاريخ الدولة الأموية

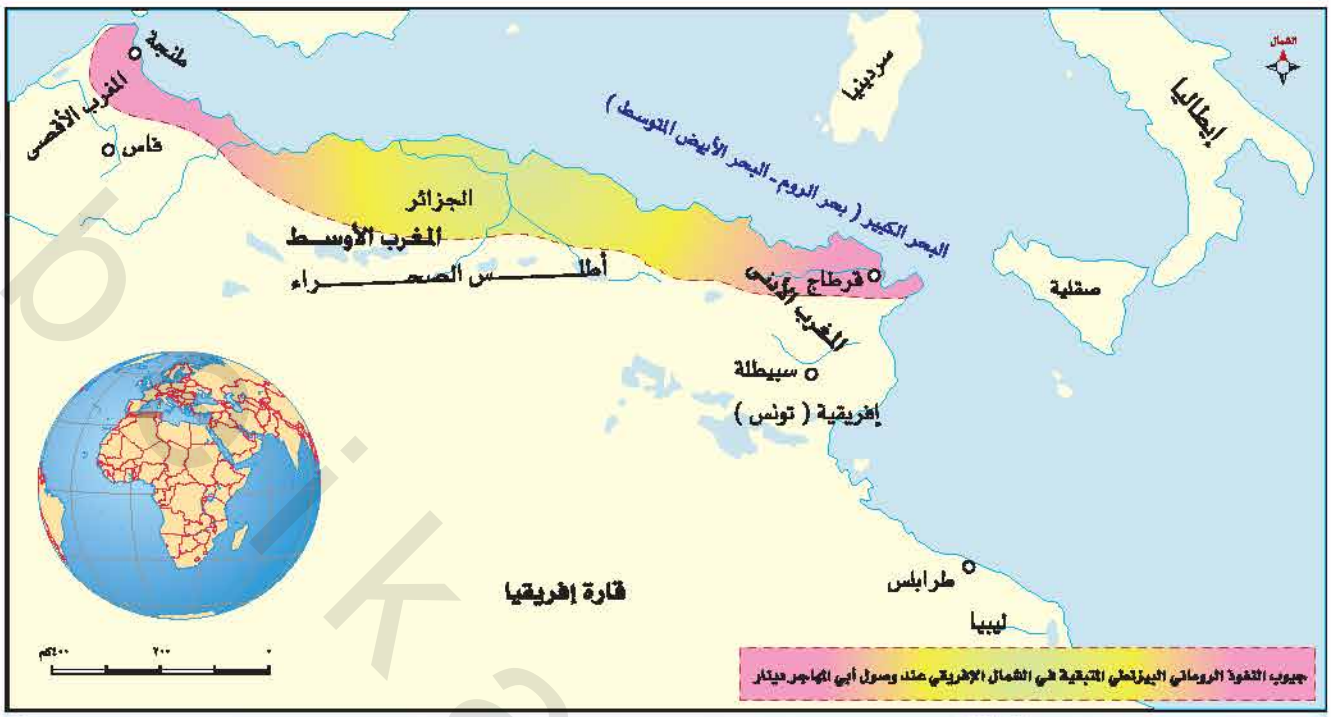

أطلال كنيسة سينتاس البيزنطية بالحي القرطاجي ببيرسا التونسية

عملات برونية قرطاجية سكت على النمط الإغريقي.

أواني فخارية عليها رسومات ملونة تعود إلى العهد القرطاجي ▼

مخلفات فخارية تعود إلى كنيسة سينتاس بالحي القرطاجي ببيرسا

التقاط في الصنوبر بمساعدة المؤلف

كنيسة سبيطلة تم تحصين بعض جدرانها في أواخر الفترة البيزنطية (القرن السابع الميلادي) ويرى مؤلف ومصمم الأطلس في الصورة المصغرة

معبد الثالوث المقدس عند الرومان فينوس، وجوبيتر، جينون.

تعد سبيطلة أهم مدينة أثرية تونسية واشتهرت بمعابدها الوثنية الثلاثة فينوس، وجوبيتر، وجينون. وقوس نصرها البارز عند مدخل المدينة.

وتتميز وتنفرد بقنطرتها الرومانية والمسرح الدائري وروائع الفسيفساء ومتنزهات أثرية.

كانت سبيطلة عاصمة دولة أمازيغية كاثوليكية تابعة لروما ثم القسطنطينية.

غزو المسلمين لقرطاجنة « معقل الروم » وضم جزيرة شريك على يد أبي المهاجر دينار

كان الروم البيزنطيون على الرغم من الهزائم التي حلت بهم في وسط إقليم إفريقية « تونس » وجنوبه، لازالوا قوة في الشمال، ولازالت عاصمتهم **قرطاجنة** عذراء لم يقصدها أحد من الفاتحين الأولين، ثم إنهم لازالوا قوة في ساحل المغرب من **بنزرت** إلى **طنجة**، فكان على أبي المهاجر أن يضرب الروم ضربة قوية ليضعضع نفوذهم في تلك النواحي، ويكسر الحلف الذي عقدوه مع البربر، فسار إلى قرطاجنة ونازلها، فاستغلقت وتحصنت بالأسوار العالية، فشدد أبو المهاجر الحصار عليها فعلم الروم أنه لا قبل لهم بالجيش الإسلامي، وأن أبا المهاجر لا بد أن ينتصر عليهم، فيدخل العاصمة باقتداره وقوته، فطلبوا الصلح فصالحهم بإخلاء جزيرة شريك، لتنزل فيها جنوده، وكان أبو المهاجر يهدف من احتلال جزيرة شريك، القريبة من قرطاجنة، أن يراقب الروم وتحركاتهم، وترك فيها حامية من الجيش جعل على رأسها قائده حنش الصنعاني ليصد الروم إذا حاولوا مهاجمة المسلمين أثناء غزوهم للبلاد. رفع أبو المهاجر الحصار عن قرطاجنة بعد أن انتزع من الروم جزيرة شريك، ذلك الموقع الاستراتيجي الهام، وترك فيها حامية تؤمن ظهر المسلمين، وتراقب تحركات الروم، ثم اتجه بعد ذلك مسايراً الساحل ناحية الغرب . د . علي الصلابي، الدولة الأموية ، ص ٦٦ .

obeikandl.com

فتوحات أبي المهاجر دينار سنة ٥٥ - ٦٦ هـ

١ أبو المهاجر يتوجه لملاقاة فلول الروم وجيوش البربر في مدينة ميلة .

٢ استطاع أبو المهاجر من الانتصار على الجيش الرومي والبربري، ثم مكث في المدينة سنتين يدعو فيها للإسلام مما أسهم في دخول جماعات كبيرة في الدين الحنيف .

نتيجة للاستقرار الأمني في هذه المنطقة من **قسنطينة** إلى **بجاية** لم تقع فيها حروب .

٣ الروم البيزنطيون يحثون البربر (البرانس) بقيادة كسيلة بن لمزم، في المغربين الأوسط و الأقصى للتصدي للقوات الإسلامية.

٤ الجيش الإسلامي بقيادة أبي المهاجر دينار يتوجه لملاقاة كسيلة بن لمزم وقواته.

بعد أن استكمل كسيلة عدته عسكر في تلمسان، وانتظر اللقاء المرتقب مع أبي المهاجر ولم يطل انتظاره، فقد وصل أبو المهاجر، وعسكر بجيشه حول تلمسان، فألتقى الجيشان ودارت معركة قاسية، أبلى فيها كل من الفريقين بلاءً كبيراً، وأدركوا خطورتها وأن لها ما بعدها، وكثر القتلى من الجيشين، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزموا جيش كسيلة فولّى هارباً من أرض المعركة.

٥ عـاد أبو المهاجـر دينار بعد انتصـاره على البربر ومن ثـم إسلام زعيمهم كسيلة بن لمزم حيث اطمأن إلى أمـور المغرب الأوسط وإلى إسلام البربر وأصبح مقـره قريباً من القيروان، وأقام بقرية تسمى دكرور يراقب الأمـور، ويرصد تحركات الروم ودسائسهم ، ويعمل على إزالة نفوذهم من الشمال الإفريقي، لكن إرادة الله لم تطل به المقام، حيث توفي مولاه مسلمة ابن مخلـد الأنصـاري والي مصر سنـة ٦٢هـ وكان مسلمة سنداً قوياً بعد الله لأبي المهاجر فلما زال هذا السنـد، أعـاد يزيد بـن معاوية ٦٠ ، ٦٤هـ عقبة بن نافع إلى إفريقية ثانية وعزل أبا المهاجر.

obeikandl.com

بناء أثري من مدينة ميلة

مِيلَةُ: بالكسر ثم السكون، ولام: مدينة صغيرة بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، ليس لها غير المُزْدَرَع وهي قليلة الماء، بينها وبين قسطنطينية يوم واحد، قال البكري: وفي سنة ٣٧٨ في شوال خرج المنصور بن المهدي من القيروان غازياً لكتامة فلما قرب من ميلة زحف إليها ناوياً على اصطلام أهلها واستباحتها، فخرج إليه النساء والعجائز والأطفال فلما رآهم بكى وأمر ألا يُقتل منهم واحد، وأمر بهدم سورهم وتسيير من فيها إلى مدينة باغاية، فخرجوا بجماعتهم يريدونها وقد حملوا ما خفّ من أمتعتهم، فلقيهم ماكس بن زيري بعسكر فأخذ جميع ما كان معهم وبقيت ميلة خراباً ثم عُمّرت بعد ذلك وسوّرت وجعل فيها سوق وحمامات، وهي من أصل مُدُن الزاب، في وسطها عين تعرف بعين أبي السباع مجلوبة تحت الأرض من جبل بني ساروت. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٤ .

زقاق قديم في مدينة ميلة الجزائرية

مدينة تلمسان - الجزائر

تقع ولاية **تلمسان** شمال غربي الجزائر يحدها شمالاً البحر المتوسط وجنوباً ولاية النعامة وشرقاً ولايتي عين تموشنت، وسيدي بلعباس وغرباً المغرب الأقصى. وهي منطقة تاريخية وسياحية، كانت تعرف ببوماريا في العهد الروماني واتخذها الزيانيون عاصمة لهم.

تتقسم ولاية تلمسان إلى ٢٢ دائرة و ٥٣ بلدية. كما تعتبر مدينة تلمسان مدينة سياحية لما فيها من آثار ومعالم سياحية مثل مغارات عين فزة، المنصورة وندرومة، ميناء هنين، ومساجد بني سنوس التي تعود للعهد المرابطي.

قلعة المنصورة بتلمسان - الجزائر

رابعاً : فتوحات الجبهة الشرقية

كان المسلمون حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد أتموا فتح البلاد التي تقع بين العراق ونهر جيحون، وتضم جرجان وطبرستان وخراسان وفارس وكرمان وسجستان، (انظر الخارطة في هذه الصفحة من كتابنا الموسوم « أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه »)وحينما قتل عثمان تعثرت حركة الفتح، وخرج أكثر أهل هذه البلاد عن الطاعة، حتى إذا جاء عهد معاوية رضي الله عنه أخذت دولته تبذل جهوداً بالغة لإعادة البلاد المفتوحة إلى الطاعة ومد حركة الفتح [1].

أقصى حدود دولة الخلافة الراشدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

١ - دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين صـ ٢١٩ .

معاودة استتباب الأمن في خراسان وسجستان في عهد معاوية

١ معاوية بن أبي سفيان يولّي عبد الله بن عامر والياً على البصرة، ويكلفه بفرض الأمن على إقليمي سجستان وخراسان .

٢ ابـن عامـر، يُعين عبـد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبـد شمس والياً على سجستـان حيث قدم إليها وعلـى شرطته عبّاد بن الحصـين الحبطـي ومعه من الأشراف عمـر بن عبيد الله بن معمر التيمـي، وعبد الله بن خازم السُّلمـي، وقطري بن الفجاءة، والمهلب بن أبي صفرة الأزدي ففتحوا في هذه الحملة مدينة زرنج صلحاً، ووافق مرزبانها على دفع ألفي ألف (مليوني) درهم، وألفي وصيف. ثم تقدموا نحو مدن خواش ، وبست ، وخُشّك ، وغيرها من البلدان وتمكنوا من فتحها ، كما تمكنوا من فتح مدينة كابل بعد أن ضربوا عليها حصاراً استمر لمدة أشهر .

٣ انظر الخارطة في الأعلى .

٤ حينما قدم زياد بن أبي سفيان البصرة معيناً عليها بدل عبد الله بن عامر، والذي عزله معاوية سنة ٤٥هـ عادت ولاية خراسان وسجستان مرة أخرى تحت إشراف والي البصرة مباشرة.

١ الحكم بن عمرو الغفاري يغزو طخارستان حينما ارتدوا عن الإسلام فأخذهم بالسيف عنوة وغنم منهم غنائم كثيرة، ثم واصل فتوحاته في بلاد الترك، وكان بصحبته المهلب بن أبي صفرة .

٢ قطع الحكم نهر جيحون وعبر إلى ما وراء النهر في ولايته ولم يفتح وكان أول من شرب من مائه من المسلمين هو أحد موالي الحكم، فقد اغترف بترسه بماء النهر، فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين، وكان الحكم أول من فعل ذلك وقد مات الحكم سنة ٥٠هـ.

استكمال فتوحات أقاليم خراسان على يدي الليثي والحارثي

١ خليد بن عبد الله الحنفي يخلف الحارثي في إدارة الإقليم ، وظل خليد في منصبه هذا حتى وصل عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان عامل معاوية رضي الله عنه والياً على خراسان في سنة ٥٤ ـ ٥٥هـ وكان عمره ٢٥ عاماً .

٢ الصحابي الجليل **غالب بن فضالة الليثي** الذي واصل سياسة سلفه في إرسال حملات منظمة في فتح طخارستان لكنه برغم كل الجهود التي بذلها لم يحرز أي تقدم يذكر في ولايات طخارستان من إقليم خراسان لذلك عزله زياد بن أبي سفيان .

٢ زياد بن أبي سفيان يولي **الربيع بن زياد الحارثي** « ٥٠ ـ ٥٣هـ »، القيادة على الإقليم حيث استطاع الربيع بن زياد إبان فترة ولايته على خراسان أن يغزو بلخ ويصالحه أهلها، ثم يغزو قوهستان فيفتحها عنوة، ثم إن ابنه عبد الله خلفه لبضعة أشهر من عام ٥٣هـ .

قال البلاذري: الطبسين؛ وهما حصنان يقال لأحدهما: طبس، ولآخر كرين وهما جرم فيهما نخل وهما بابا خراسان ، فتوح البلدان ج١؛ ص: ٣٩٤ .

وصل عبيد الله إلى **مرو** حتى قاد حملة مكونة من ٢٤ ألف رجل وقطعوا نهر جيحون على الإبل وفتحوا راميثين ونسف وبيكندة. قال اليعقوبي: وصار **عبيد الله بن زياد** إلى خراسان، فبدأ **ببخارى**، وعليها ملكة يقال لها خاتون فقاتلهم حتى فتحها، ثم **قطع نهر بلخ**، وكان أول عربي قطع نهر بلخ، وحاربه القوم محاربة شديدة، وكان الظفر له، ثم انصرف من خراسان إلى معاوية فولاه البصرة سنة ست وخمسين، وقيل أول سنة سبع وخمسين. تاريخ اليعقوبي (٢/٢١١) .

استكمال فتوحات أقاليم خراسان على يدي الليثي والحارثي

خليد بن عبد الله الحنفي يخلف الحارثي في إدارة الإقليم ، وظل خليد في منصبه هذا حتى وصل عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان عامل معاوية رضي الله عنه والياً على خراسان في سنة ٥٤ ـ ٥٥هـ وكان عمره ٢٥ عاماً .

الصحابي الجليل **غالب بن فضالة الليثي** الذي واصل سياسة سلفه في إرسال حملات منظمة في فتح طخارستان لكنه برغم كل الجهود التي بذلها لم يحرز أي تقدم يذكر في ولايات طخارستان من إقليم خراسان لذلك عزله زياد بن أبي سفيان .

٢ زياد بن أبي سفيان يولي **الربيع بن زياد الحارثي** « ٥٠ ـ ٥٣هـ » ، القيادة على الإقليم حيث استطاع الربيع بن زياد إبان فترة ولايته على خراسان أن يغزو بلخ ويصالحه أهلها، ثم يغزو قوهستان فيفتحها عنوة، ثم إن ابنه عبد الله خلفه لبضعة أشهر من عام ٥٣هـ .

٢ - غـزا سعيد **سمرقند**، فأعانته خاتون بأهل بخـارى، فنزل على باب سمرقند، وحلف ألاّ يـبرح أو يفتحها وقاتـل المسلمون أهـل سمرقند ثلاثة أيـام، وكان أشـدّ قتالهـم فـي اليوم الثالث حيث **فُقئت عين سعيد**، ولزم أهـل سمرقنـد أن يفتـح سعيد ذلك القصر عنـوة ويقتل من فيه، فطلبوا الصلـح، فصالحهـم علـى سبعمائة ألـف درهم، وعلى أن يعطوه رهناً من أبنـاء عظمائهـم، وعلـى أن يدخـل المدينة ومـن شاء ويخـرج من الباب الآخر، فأعطـوه خمسة وعشرين من أبنـاء ملوكهـم، ويقال: إنهـم أعطوه أربعـين مـن أبنـاء ملوكهـم، ويقال: ثمانـين وكان معه من الأمراء المهلب ابـن أبـي صُفـــرة الأزدي وغـيره واسـتشهـد معـه يومئـذ **قثم بن العباس بن عبد المطلب**، وكان **يُشبّـه بالنبـي صلى الله عليه وسلم**، وكان أخـــوه عبـد الله بن عباس دفـن بالطائف وأخـوه معبد استشهد بإفريقية وعبيد الله بالمدينة وكلهم من أب واحد وأم واحدة .

١ - قدم سعيد بن عثمان خراسان **فقطع النهر إلى (سمرقند)** وبلغ خاتون ملكة بخارى عبوره النهر، فحملت إليه الصلح الذي صالحت عليـه عبيـد الله بن زياد وأقبل أهل الصُّغد وكِش ونسف إلى سعيـد في مائة ألف وعشرين ألفاً، فالتقوا ببخارى، وقد ندمت خاتون على أدائها الجزيـة، فنكثـت العهد ولكـن قسماً من الحشود المجتمعة لقتال سعيـد انصرفوا قبل مباشرة القتال، فأثّر انصرافهـم في معنويات الآخرين واهتزّت معنوياتهم، فلما رأت خاتون ذلك، أعادت الصلح، فدخل سعيد مدينة بخارى فاتحاً ، د . الصلابي، الدولة الأموية، ص ٣٨٠ .

مرصد فلكي قديم في ترمذ

تِرْمِذُ: قال أبو سعد: الناس مختلفون في كيفية هذه النسبة، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم يقول بضمها وبعضهم بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفه فيه قديماً بكسر التاء والميم جميعاً، والذي يقوله المتأنقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم، وكلٌ واحد يقول معنىً لما يدعيه. وترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جَيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصفانيان، ولها قُهدز وربض، يحيط بها سورٌ، وأسواقها مفروشة بالآجر، ولهم شرب يجري من الصفانيان لأن جيحون يستقلّ عن شرب قراهم. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٢٦.

قلت: وتِرْمِذ هي بلدة تاريخية في آسيا الوسطى فتحها المسلمون على مراحل في العهد الأموي . واشتهرت في تاريخ الحضارة الاسلامية الأسيوية بمراصدها الفلكية (انظر الصورة في الأعلى) .

والترمذي (نسبة الى ترمذ) وهو لقب عدد من الفقهاء والمحدثين أشهرهم الترمذي المحدث أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي . الذي ولد حوالي عام ٢٠٩ هـ (٨٢٤ م) .. وقيل إنه كان أكمه .. كما أصيب بالعمى .. وهو أحد أصحاب السنن (أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه). وأدرك في حياته الإمام البخاري : واشتهر الترمذي بمؤلفه الكبير. في الحديث المعروف بـ " الجامع الصحيح " توفي عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) .

١ - قال ابن الأثير: سار سلم إلى خراسان كتب معه يزيد إلى أخي عبيد الله بن زياد ينتخب له ستة آلاف فارس وقيل: ألفي فارس وكان سلم ينتخب الوجوه فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمي والمهلب بن أبي صفرة وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن عرادة ويحيى بن يعمر العدواني وصلة ابن أشيم العدوي وغيرهم وسار سلم إلى خراسان وعبر النهر غازياً وكان عمال خراسان قبله يغزون فإذا دخل الشتاء رجعوا إلى مرو الشاهجان فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة مما يلي خوارزم فيتعاقدون أن لا يغزو بعضهم بعضاً ويتشاورون في أمورهم فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم، فلما قدم سلم غزا فشتا في بعض مغازيه فألح عليه المهلب ابن أبي صفرة وسأله التوجه إلى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف، وقيل: أربعة آلاف فحاصرهم فطلبوا أن يصالحهم على أن يفدوا أنفسهم فأجابهم إلى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف، وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف فحظي بها المهلب عند سلم وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه وبعث به إلى يزيد. الكامل في التاريخ ٢/ ٨٨٤.

فتوحات سلم بن زياد أخو عبيد الله بن زياد في بلاد ماوراء النهر سنة ٥٧هـ

٢ - قال ابن الأثير: وغزا سلم سمرقند وعبرت معه النهر امرأته أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية وهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر فولدت له ابناً سماه صغدى واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصغد حليها فلم تعده إليها وذهبت به. ووجه جيشاً إلى خجندة فيهم أعشى همدان فهزموا فقال أعشى: ليت خيلي يوم الخجندة لم تهزم وغودرت في المكر سليباً تحضر الطير مصرعي وتروحت إلى الله بالدماء خضيباً. الكامل في التاريخ ٢/ ٨٨٤.

فتوحات السند في عهد معاوية

٤ - تـولّى عباد بن زيـاد بن أبي سفيـان أمر سجستان فقـاد حملة توغـل فيها فـي منطقة حوض نهـر السند فنزل كِشّ، ثـم سار إلى قَنْدَهار : فقاتل أهلها فهزمهم، وفتحهـا بعـد أن أصيب رجال من المسلمـين ، وكان آخر الـولاة الذين تولـوا أمـر الفتوحات في هـذا الجزء هو المنذر بن الجارود العبدي «أبو الأشهث» والذي وصل ثغر السنـد معيناً عليه من قبـل عبيد الله بن زيـاد بن أبي سفيان والي البصـرة سنة ٦٢هـ، فقاد المنذر حملة ضد مدينة قُصدار ، وتمكن من فتحها .

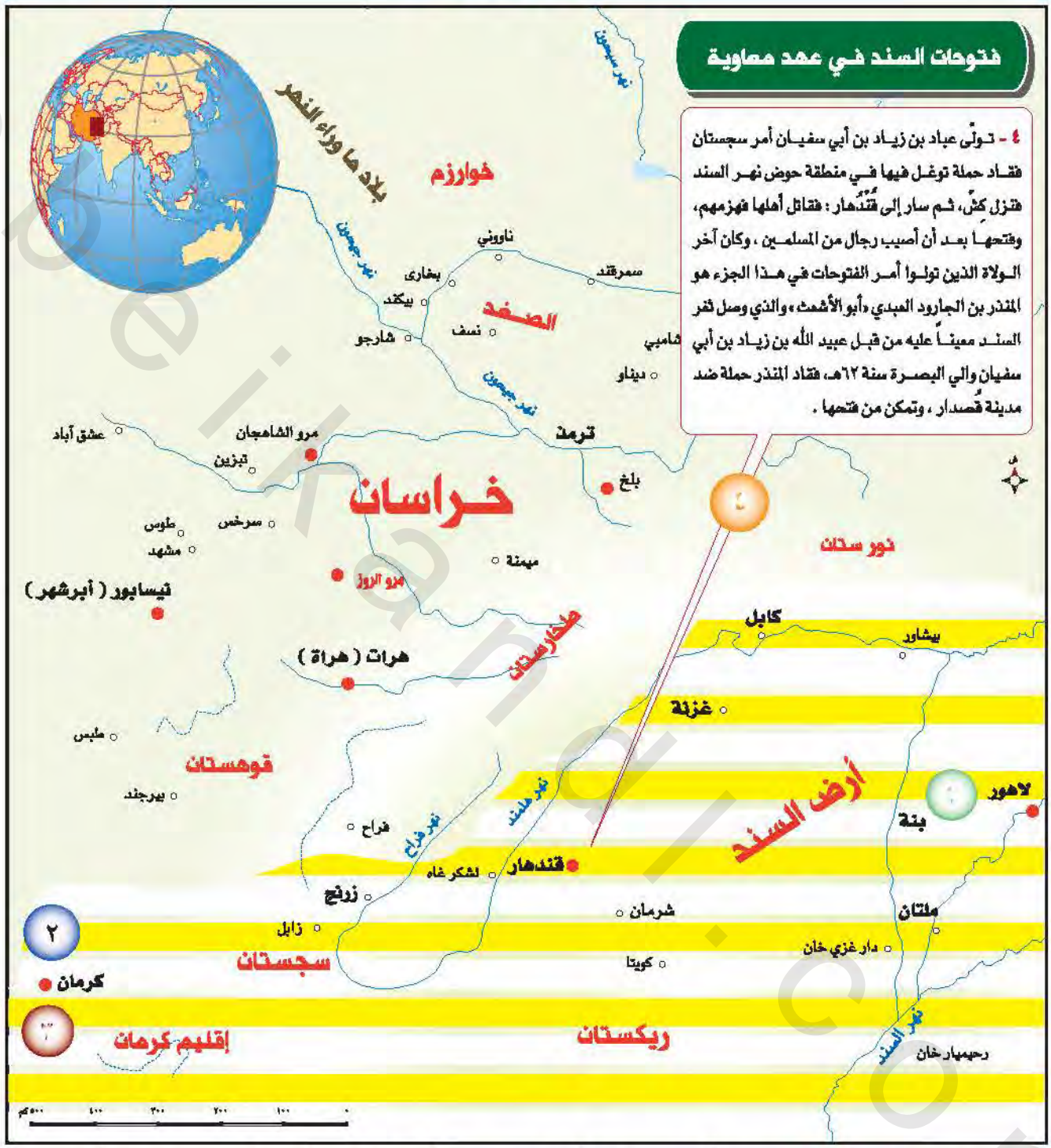

١ - قال ياقوت: غزا **المهلّب بن أبي صُفرة** في سنة ٤٤ أيام معاوية ثغر السند فأتى بَنْة ولاهور، وهما بين المُلتان وكابُل، فلقيه العدوُّ فقتله المهلّب ومن معه، فقال بعض الأزديين:

أَلم تَرَ أنّ الأزدَ، ليلةَ بَيتُوا بَيْنَة، كانوا خيرَ جيش المهلّب؟

٢ - في سنة ٤٥ هـ والي البصرة عبد الله بن عامر؛ يبعث **عبد الله بن سوّار العبيدي** إلى ثغر السند على رأس حملة قوامها أربعة آلاف رجل، ولما وصل ابن سوّار إلى مدينة مكران، بقي هناك أربعة أشهر يعدّ نفسه وجنده للحملة المرتقبة. ثم تقدم وجماعته نحو بلاد القيقان ، وفتحها .

٣ - فـي سنـة ٤٨هـ اختار زياد بن أبي سفيان **سنان بن سلمة بن المُحَبّق الهذلي** ليكون والياً على الأقاليم المفتوحة من ثغر السند وما أن وصل سنان إلى هناك حتى تمكن من فتح مدينة مكران « عنوة » ومصّرها وأقام بها وضبط البلاد .

obeikandl.com